سلسلة كتب الدعوة والخطابة

الكتاب الثاني عشر

في ظلال خطب الجمعة

(الجزء الخامس)

أ.د/ أحمد عبد الهادي شاهين

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر

وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة.

من نور القرآن الكريم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

سورة الذاريات الآية (٥٥).

في ظلال خطب الجمعة (جـ٥)

رقم الإيداع/ ١٦٠٧١/ ٢٠١٥ بدار الكتب المصرية.

الطبعة الأولى/ سنة ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

(١٠١) الشورى في الإسلام([1])

١. تعريف الشورى.

٢. أهمية الشورى في الإسلام.

٣. الشورى في القرآن الكريم وحياة النبي ﷺ.

٤. فوائد الشورى.

٥. الشورى بين الإعلام والإلزام.

٦. كيف نحقق الشورى في حياتنا المعاصرة؟.

❁❁❁

الحكم مسؤولية عظيمة، والمناصب أمانة كبيرة في عنق أصاحبها، أمام الله وأمام الناس، وهي يوم القيامة خزي وندامة إلا لمن يقوم بها علي الوجه المطلوب، وقد دلت النصوص علي ذلك منها، قال تعالي: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾(٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (٣).

وفي الحديث قال ﷺ: "كُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِه، الإِمامُ راعٍ ومَسؤُولٌ عنْ رعِيَّتِه، والرَّجُلُ راعٍ في أهلِه وهو مَسْؤُولٌ عن رعيَّتِهِ، والمرْأةُ راعِيةٌ

---

(١) الموضوع مستفاد من كتاب الشورى في الإسلام، د. على محمد الصلابي.

(٢) سورة الحجر الآيتان (٩٢-٩٣).

(٣) سورة الزلزلة الآيتان (٧ – ٨).

في بيتِ زوجِها ومَسْؤُولةٌ عن رعِيَّتِها، والخادِمُ راعٍ في مالِ سيِّدِه ومَسْؤُولٌ عن رعيَّتِه. قال: وَحَسِبْتُ أنْ قدْ قال: والرَّجُلُ راعٍ في مالِ أبِيهِ ومَسْؤُولٌ عن رعيَّتِه، وكُلُّكُم راعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِه" (١).

والحاكم يستمد سلطانه من الشرع والدين، بما أعطاه من حقوق، وبما أوجب عليه من واجبات، فهي أمانة في رقبته نحو الرعية في الدنيا والأخرة.

❁❁❁

١-تعريف الشورى:

الشورى: تعني طلب المشورة لمعرفة رأي الآخر الذي يحقق المصلحة.

ومن معاني الشورى: (استخلاص الرأي الجامع، أو الراجح من خلال الحوار الجامع).

والمسؤل الناصح هو من يشاور أهل التخصص في كل علم، ويستفيد من خبرتهم ونصحهم.

وفي الأثر: (ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد) (٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٨٩٣) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٢) الأثر أورده ابن حجر في الفتوحات الربانية ٥/ ٩٤ وقال غريب، وذكره العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٢٤٢ في سنده ضعيف جدا عن أنس بن مالك ﷺ.

٢-أهمية الشورى في الإسلام.

والشورى من واجبات الإسلام علي الحاكم نحو الرعية، قال تعالي: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(١). وقال تعالي: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾(٢).

فالآية الثانية تحدّثت عن صفات أهل الشّورى والرّأي، حيث يجب أن يكونوا من أصحاب التّقوى والإيمان، وهذا كلّه يدلّ على أهمّية الشّورى في حياة الفرد والمجتمع.

وفيما يأتي بيان صفات أهل الشورى:

البلوغ والرّشد وحسن السّلوك؛ كأن يكون بعيدًا عن الكبائر والشبهات، وأن يكون من أهل الإيمان والتّقوى، وأن يكون أساسه التّوكّل على الله ﷻ وأن يكون صاحب أمانة، وأن يمتلك أسلوب النصيحة والخبرة في الأمر المُستشار فيه، وأن يكون صاحب شجاعة للتّمييز بين الحقّ والباطل، وأن يكون من أهل الصّدق والحلم، وأن يكون مُتأنّيًا؛ لأنّ عدم التّأنّي يجعله يُقدم الرّأي بعيدًا عن العلم والخبرة وتقدير المسؤوليّة.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩).

(٢) سورة الشورى الآية (٣٨).

والرأي مثل الضوء، كلما أكثرت من الاستشارة، كلما قوي الضوء الذي تبصر به، وهو مثل الخيط، كلما أكثرت من الشورى والمشورة، أصبح مثل الحبل القوي الذي تمسك به.

❁❁❁

٣-الشورى في القرآن الكريم، وحياة النبي ﷺ.

الشورى مصطلح إسلامي قرآني نبوي، ومبدأ من مبادئ الإسلام، يعني أن يقوم أصحاب الخبرة والرأي، بتقليب وجهات نظر في قضايا الناس، من أجل تحقيق أحسن النتائج.

وفي القرآن سورة سميت بهذا الاسم، وهذا من أكبر الأدلة على أهمية مبدأ الشورى في المجتمع المسلم، وأنها أمر ضروري يجب تحقيقه بين المسلمين، في حياتهم العامة والخاصة.

وإذا كانت سورة الشورى مكية فهي تدل على أن ممارستها بين المسلمين كانت في وقت مبكر جدا، قبل أن تقوم للإسلام دولة في المدينة.

إن الله ﷻ يعلمنا وهو الخالق أمر الشورى والاستشارة، حتى مع من هم أقل منا في الخصائص والصفات، لتكون منهجا للحاكم والمحكوم في الحياة، فعرض الله على الملائكة أمر خلق آدم عليه السلام وقالت الملائكة ما تراه في تصورها عن الإنسان، ثم كانت النتيجة أن الله أعلمهم بأنه يعلم مالا يعلمون، وأثبت الله لهم ذلك بعلم آدم مالم تعلمه الملائكة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾(١).

فكيف بالحاكم مع المحكومين، وهو واحد منهم، ويجري عليه ما يجري عليهم، من المرض والموت والفناء، فهم أولى بالشورى بعضهم مع بعض.

وإبراهيم عليه السلام تشاور مع ولده اسماعيل قبل أن يطبق عليه ما رآه في الرؤيا، وهو فاعل ذلك لا محالة، وهو نبي، ورؤيا الأنبياء حق، فكيف بغير الأنبياء من البشر الذين لم يصطفوا من الله عز وجل بأنوار النبوة والرسالة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(٢).

فالشورى لها ميدانها الواسع في المجتمع المسلم، لتشمل كل شيء في مناحي الحياة، صغيرا كان أو كبيرا، من أجل البحث عن الأفضل والأصوب والأصح، فيقدم على غيره ما هو دونه فيما مالم يرد فيه نص قاطع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ

(١) سورة البقرة الآية (٣٠-٣٢).

(٢) سورة الصافات الآية (١٠٢).

ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾(١).

وجاءت الآية في حق الرسول ﷺ وهو القائد والمعلم للأمة، وهو معصوم من الكبائر، ومؤيد بالوحى والتوفيق الإلهي ومع ذلك أمره الله بمشاورة الصحابة؛ ليكون الخطاب من بعده لكل حاكم مسلم عادل، وسنة إلاهية ماضية إلى يوم القيامة، وليس للحاكم في ذلك اختيار بالقبول أو الرفض، بل إنها لهم من باب أولى، مع الفارق الكبير بينهم وبين المعصوم ﷺ.

❁❁❁

وفي السنة استخدم النبي ﷺ الشورى في كل أموره في السلم والحرب، مع أصحابه وجنوده، ونسائه، ففي غزوة بدر عند مكان المعركة كانت الشورى، وبعد الغزوة في الحكم على الأسرى كانت الشورى، وعند الاستعداد لغزوة أحد كانت الشورى، وعند الاستعداد لمواجهة الأحزاب على مداخل المدينة كانت الشورى، وعند صلح الحديبية كانت الشورى، وفي كل هذه المواضع أتت بثمار عظيمة ونتائج باهرة، كانت سببا في النصر والتمكين والفتح المبين. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **"ما رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشورَةً لِأَصْحابِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ"**(٢).

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩).

(٢) الحديث ذكره الإمام ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٥٢ رجاله ثقات، إلا أنه منقطع، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١-الشورى أصل في النظام السياسي الإسلامي، تمتد لتشمل كل أمور المسلمين كل في تخصصه، فيستشار علماء الدين في أمور الدين، والعسكريون في أمور الحرب، والاقتصاديون في أمور المال، وهكذا في باقي التخصصات.

٢-الشورى أصل من أصول الحكم، وقاعدة من قواعده، فالنبي ﷺ لم يستخلف أحدا بعده ﷺ وإنما ترك الأمر شورى بين الصحابة، قيلَ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ: (ألا تستخلِفُ علَينا؟ قالَ: ما استَخلفَ رسولُ الله ﷺ فأستخلِفُ، ولَكن إن يردُ اللهُ بالنَّاسِ خيرًا، فسيَجمعَهم بَعدي على خيرِهم، كما جمعَهم بعدَ نبيِّهم على خيرِهم)(١).

٣-الشورى من إسهامات المسلمين الحضارية للإنسانية كلها، حيث عرف هذا النظام قبل أن يعرف الغرب الديمقراطية.

شاور سواك إذا نابتك نائبة ∴ يوما وإن كنت من أهل المشورات.

فالعين تبصر فيها ما دنا ونأى ∴ ولا ترى نفسها إلا بمرآة.

لقد استفادت بلقيس من مشورتها لقادة الجيش، حيث قلبت الأمور على جميع وجوهها، ودرست ما خفي عنها من مقترحات مستشاريها، فتجمعت أمامها آراء كثيرة، فاختارت أحسنها وأفضلها وأنفعها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾(٢).

(١) البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ٢٢٣ الحديث له شواهد، عن شقيق بن سلمة ﷺ.

(٢) سورة النمل الآية (٣٢).

والفرق بين الديمقراطية والشورى، أن الأولى تجعل مصدر السيادة في التشريع للشعب، بينما الثانية تجعل مصدر السيادة للشريعة، والأولى تجعل الشعب هو الذي يضع دستوره وقوانينه، بينما الشورى تعتمد على حكم الله المنزل عن طريق الوحي، وهو الأساس في التشريع، ودور العلماء هو الاجتهاد في الاستنباط من النصوص، ووضع آلية للتطبيق، والشورى أساس من أساسيات الحكم في الإسلام، لأنها تقوم على جلب المصلحة ودرء المفسدة.

٤-الشورى من قيم الإسلام العظيمة التي مارسها المسلمون عبر تاريخهم الطويل، وهي من مقاصد الدين الإسلامي الحنيف، الذي يحث أتباعه على العمل بها، والتمسك بممارستها، في جميع الظروف والأحوال.

٥-الوالدان أيضا إذا قرر أحدهما فصال الولد فلابد من التشاور، وهو أمر عائلي خاص، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾(١).

فكيف بالأمور الجسام التي تتعلق بمصير الأمة، وقرارات الحاكم، وتنفيذ مصلحة الرعية، من قرارات الحروب والمعارك.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٣٣).

والفتاة لها حق في معرفة رأيها بالموافقة أو الرفض في من يتقدم لخطبتها، وليس من حق ولي أمرها أن يكرهها على الزواج ممن لا ترغب، وفي الحديث عن عائشة ﵂ قالت: "**سَأَلْتُ رَسولَ الله ﷺعَنِ الجَارِيَةِ يُنْكِحُهَا أَهْلُهَا، أَتُسْتَأْمَرُ أَمْ لَا؟ فَقالَ لَهَا رَسولُ الله ﷺ: نَعَمْ، تُسْتَأْمَرُ، فَقالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلتُ له: فإنَّهَا تَسْتَحِي، فَقالَ رَسولُ الله ﷺ: فَذلكَ إذْنُهَا، إذَا هي سَكَتَتْ**"(١).

فالمرأة لها رأيها سواء في الخطبة، أو مع زوجها في فطام الوليد.

والنبي ﷺ طبق الشورى في أمور كثيرة في حياته، ليتعلم الصحابة والأمة من بعده أهمية هذا المبدأ والقيمة في الإسلام، فاستشار الصحابة في أمر الخروج لغزوة بدر، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨﴾(٢).

وتشاور مع قادة المهاجرين والأنصار، وكان القرار بعد الشورى بالخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٤٢٠) عن عائشة أم المؤمنين ﵂.

(٢) سورة الأنفال الآيات (٥-٨).

وفي السيرة النبوية: "فاستشار الناسَ وأخبرهم عن قريشٍ فقام أبو بكرٍ الصديقُ فقال وأحسنَ ثم قام عمرُ بنُ الخطابِ فقال وأحسنَ ثم قام المقدادُ بنُ عمرو فقال يا رسولَ الله امضِ لما أراك اللهُ فنحنُ معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيلَ لموسى عليه السلام اذهبْ أنتَ وربكَ فقاتِلا إنا ههنا قاعدونَ ولكن اذهب أنتَ وربكَ فقاتِلا إنَّا معكما مقاتلونَ فو الذي بعثكَ بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَادِ لجالدنا معك من دونِه حتى تبلُغَه فقال لهُ رسولُ الله ﷺ خيرًا ودعا لهُ.

ثم قال رسولُ الله ﷺ أشيروا عليَّ أيها الناسُ، وإنما يريدُ الأنصارَ، وذلك أنهم كانوا أكثر عددَ الناسِ، وأنهم حين بايعوهُ بالعقبةِ قالوا يا رسولَ الله إنَّا برآءٌ من ذمامِكَ حتى تصلَ إلى ديارنا فإذا وصلتَ إلينا فأنت في ذمتنا نمنعُكَ مما نمنعُ منْهُ أبناءَنا ونساءَنا فكان رسولُ الله ﷺ يتخوَّفُ أن لا تكونَ الأنصارُ ترى عليها نصرَه إلا ممن دهمَه بالمدينةِ من عدوِّهِ وإنه ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوٍّ من بلادهم.

فلما قال ذلك رسولُ الله ﷺ قال لهُ سعدُ بنُ معاذٍ والله لكأنَّكَ تريدنا يا رسولَ الله قال أجل قال فقد آمنَّا بك وصدَّقناكَ، وشهدنا أنَّ ما جئتَ بهِ هوَ الحقُّ، وأعطيناكَ على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمعِ والطاعةِ لكَ، فامضِ يا رسولَ الله لما أردتَ فنحنُ معك، فو الذي بعثكَ بالحقِّ لو استعرضتَ بنا البحرَ فخضْتَه لخُضْنَاهُ معكَ ما تخلَّفَ منا رجلٌ واحدٌ، وما نكرَهُ أن تَلْقى بنا عدوَّنا غدًا إنَّا لصبرٌ في الحربِ صدقٌ عندَ اللقاءِ، لعل اللهَ يُرِيَكَ منا ما تقَرُّ بهِ عينُك، فسِرْ على بركةِ الله،

قال فسُرَّ- رسولُ الله ﷺ بقولِ سعدٍ ونشطِه ثم قال سيروا وأبشروا فإنَّ اللهَ قد وعدني إحدى الطائفتينِ واللهِ لكأني الآن أنظرُ إلى مَصَارِعِ القومِ) (١).

مشورة الخباب بن المنذر في اختيار مكان المعركة، ونزل النبي ﷺ على رأيه، وكان نعم الرأي قال يارسولُ الله: "أرأيتَ هذا المنزلَ، أمَنزلًا أنزلكَهُ اللهُ، ليسَ لنا أن نتقدَّمَه ولا نتأخَّرَ عنهُ، أم هو الرَّأيُ والحربُ والمكيدةُ؟ قال: بل هوَ الرَّأيُ والحربُ والمكيدةُ.

قال يا رسولَ اللهِ فإنَّ هذا ليس بمنزلٍ، امضِ بالنَّاسِ حتَّى نأتي أدنى ماءٍ من القومِ فنُعسكِرَ فيه، ثمَّ نَغورُ ما وراءَه من الآبارِ، ثُمَّ نَبني علَيهِ حوضًا فنملأه ماءً، ثُمَّ نقاتلُ القومَ فنشربُ ولا يشرَبونَ، فقال رسولُ الله ﷺ: لقد أشَرت بالرَّأيِ، ثم أمرَ بإنفاذِهِ، فلم يَجئ نصفُ اللَّيلِ حتَّى تحوَّلوا كما رأى الحُبابُ، وامتَلكوا مواقعَ الماءِ) (٢).

أين ذلك مما يجرى في المعارك والحروب الآن؟! ممن يقولون: (طع الأوامر ثم تظلم بعد ذلك) أليس من حق الجندي أن يقول رأيه ليعبر عما بداخله سواء أخذ برأيه أم لا؟.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٦١ له شواهد عن محمد بن إسحاق.

(٢) فقه السيرة للغزالي بتخريج الألباني صـ٢٢٤، إسناده ضعيف، عن رجال من بني سلمة-رضي الله عنهم-.

مشاورة النبي ﷺ للصحابة في أسرى بدر، فقال أبو بكر رأيه، وكذا عمر، وأخذ النبيﷺ برأي أبى بكر ومن معه من الأغلبية، لحرصه على صلة الرحم والقرابة، وطمعا في إسلامهم، ونزل القرآن موافقا لرأي عمر، وعاتب الله نبيهﷺ في ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ ﴾(١).

فالرسول أخذ برأي الأغلبية الذي توافق مع قول أبي بكر في أخذ الفداء، بدلا من القتل الذي قال به عمر، وكان هو المناسب لمقتضى الحال، من كسر شوكة المشركين وإذلالهم، بقتل رؤوس الكفر، وصناديد الشرك المأسورين.

الشورى في مكان غزوة أحد، هل تكون داخل المدينة أم خارجها؟ وكان رأى الشباب وهم الأكثرية أن تكون خارج المدينة، وملاقاة المشركين قبل الدخول، لبيان قوة المسلمين وشوكتهم، في حين أن الشيوخ كان رأيهم أن يتحصن الصحابة بالمدينة، وتكون المعركة في شوارعها، ومن خلفهم الصبيان والنساء من فوق الدور والبيوت، ونزل النبي ﷺ على رأى الأغلبية من الشباب، وأخذ القرار وشعر الشباب أنهم أكرهوا النبي ﷺ على الخروج.

فعن عروة في قصة أحد: (وإشارة النبي ﷺ على المسلمين بالمكث في المدينة وأن كثيرا من الناس أبوا إلا الخروج إلى العدو، قال: ولو تناهوا إلى قول رسول الله ﷺ وأمره كان خيرا لهم، ولكن غلب القضاء والقدر، قال وعامة من أشار عليه

(١) سورة الأنفال الآية (٦٧).

بالخروج رجال لم يشهدوا بدرا، وقد علموا الذي سبق لأهل بدر من الفضيلة، فلما صلى رسول الله ﷺ صلاة الجمعة، وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلأمته فلبسها، ثم أذن في الناس بالخروج، فلما أبصر ذلك رجال من ذوي الرأي قالوا: أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة، فإن دخل علينا العدو قاتلناهم في الأزقة وهو أعلم بالله وبما يريد، ويأتيه الوحي من السماء، ثم أشخصناه فقالوا: يا نبي الله! أنمكث كما أمرتنا؟ قال رسول الله ﷺ: لا ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب، وأذن في الناس بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج، فعليكم بتقوى الله والصبر إذا لقيتم العدو، وانظروا ما أمرتكم به فافعلوه، فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه) (١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾(٢).

الشورى في غزوة الأحزاب، والعمل برأي سلمان في حفر الخندق حول المدينة، وهي فكرة لم تكن معروفة عند العرب من قبل، وكانت سببا في إيقاف زحف المشركين إلى داخل المدينة، إلى أن أرسل الله عليهم الريح، فقلبت قدورهم، وخلعت خيامهم، وردتهم خائبين بعد سفر طويل، وصعوبات كثيرة، قَالَ تَعَالَىٰ:

(١) البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٤٠ عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أبو الأسود المدني ﷺ.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٥٩)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾(١).

الشورى في الخروج للعمرة والتي انتهت بصلح الحديبية، وكان ذلك لصالح المسلمين، والذي أشارت فيه أم سلمة على النبي ﷺ بأن يبدأ بنفسه في الحلق والذبح والتحلل، ثم امتثل الصحابة للأمر النبوي وتسابقوا في تطبيقه.

فلما فَرَغَ مِن قضيةِ الكتابِ، قال رسولُ الله ﷺ لأصحابِه: "قوموا فانحَرُوا ثم احْلِقُوا. قال: فوالله، ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاثَ مراتٍ، فلما لم يَقُمْ منهم أحدٌ دخَلَ على أمِّ سَلَمَةَ، فذَكَرَ لها ما لَقِيَ مِن الناسِ، فقالت أمُّ سَلَمَةَ: يانبيَّ الله، أَتَحُبُّ ذلك، اخرُجْ لا تُكَلِّمْ أحدًا منهم كلمةً، حتى تَنْحَرَ بُدْنَك، وتَدْعُوَ حالقَك فيَحْلِقَكَ. فخَرَجَ فلم يُكَلِّمْ أحدًا منهم حتى فعَلَ ذلك، نحَرَ بُدْنَه، ودعا حالقَه فحَلَقَه، فلما رأَوْا ذلك قاموا فنَحَرُوا وجعَلَ بعضُهم يَحْلِقُ بعضًا، حتى كاد بعضُهم يُقْتَلُ غمًّا)(٢).

❁❁❁

٤-فوائد الشورى:

١-إن ممارسة الشورى قربى وطاعة لله ﷻ لأن الهدف منها تحصيل الخير، ونيل الأجر، وتحقيق المنفعة.

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٩).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة ﷺ، ومروان بن الحكم ﷺ.

٢-الشورى تجعل المسلم يبحث عن الحق والصواب دائما، لأنها ترجيح من بين آراء كثيرة معروضة، من خلال تبادل الخبرات المتنوعة، وتكامل وجهات النظر؛ لتصبح الحقيقة جلاءً وظهورا.

٣-الشورى تزيد المجتمع المسلم قوة إلى قوته، لأنها لا تمارس إلا في وجود الحرية، والحرية من مظاهر قوة المجتمع وتقدمه، حيث تنأى بالمجتمع عن الطغيان والاستبداد.

٤-الشورى توظف طاقات الأمة الفكرية والعقلية فيما ينفع ويصلح الحاضر والمستقبل، حيث يتقدم أصحاب الخبرة؛ ليقدموا أفضل ما عندهم في حرية وأمان.

٥-الشورى تضييق دائرة الخلاف بين المسلمين وبين الحاكم والرعية، حيث إن الأمر المطروح خضع للنقاش والتداول مع أهل الاختصاص، فيتراجع العنف، وتقل نزعات الغلو والتطرف داخل المجتمع.

فالشورى تولد الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتطيب القلوب، وتجعل من رأي الخليفة أو الحاكم رأى جميع المسلمين بعد التشاور، ففي الشورى وقاية من الاستبداد، وتزود الدولة بالكفاءات والقدرات المتميزة، وبها تنحصر عيوب التفرد بالقرار.

٦-الشورى تفيد في تلاقح الأفكار، وتكامل الثقة، وتبادل الخبرة والاطلاع على ما عند الآخرين، والاستفادة من الخبرات المتنوعة وبعبارة أخرى حصول التكامل بين أفراد المجتمع.

٧-الشورى تعطي قوة للمجتمع في أكثر من مجال إنساني، فعلى سبيل المجال النفسي، فإن الشورى طريق للتخلص من الظواهر المرضية غير الصحية، مثل قلة الإخلاص، وضعف الأداء الوظيفي، وإهدار الطاقات المفيدة.

❁❁❁

٥-الشورى بين الإعلام والإلزام:

الشورى مُعلمة أم مُلزمة؟.

هذه قضية محل خلاف بين العلماء، فهناك من يرى بأنها ملزمة، وهو الراجح، لأنها تمنع الحاكم من الاستبداد برأيه، والنبي ﷺ عمل بها في قضايا كثيرة، مثل مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة، وقد رأى هذا الرأي باجتهاده الشخصي، ولما تشاور مع الصحابة، أشاروا بعكسه، والتزم النبي ﷺ بما توصلوا إليه، فالنبي ﷺ معصوم، ومع ذلك لم يقطع في المسألة برأيه دون مشاورة الصحابة، والعمل بما اتفقوا عليه، فكيف بمن هم غير معصومين؟.

والقول بهذا الرأي يضمن عدم استبداد الحاكم برأيه، بعد أخذ الشورى من أهل الحل والعقد، ويمنع التسلط من الحاكم على الرعية فيما يخالفها فيه.

وأما من قال بأنها معلمة، فهي مفيدة في معرفة الأراء الأخرى فقط، ويترك للحاكم أن يختار منها ما يشاء، دون إلزامه برأي الأغلبية، وهي بذلك تحقق هدفا وتضيع أهدافا أخرى.

❁❁❁

٦-كيف نحقق الشورى في حياتنا المعاصرة؟.

١-التمسك بالشورى كطريق وحيد لكسب شرعية الحاكم من الشعب، فهذه الشعوب في اختيارها لولاة الأمور، مطلوب منها اتباع ما فعله النبي ﷺ والصحابة والتابعون، في أي صورة منها، والخروج عن ذلك خروج عن قواعد الشورى في الإسلام.

٢-نشر ثقافة الشورى بين جميع طبقات المجتمع، في البيت، ومع الزوجة، والأولاد، وفي العمل، وفي المؤسسات الداخلية في المجتمع، بحيث تكون جزءًا أساسيا من إدارة شؤون الدولة، فهي عملية تراكمية تنتقل من أفراد المجتمع إلى مؤسساته، وليس العكس، وهذا عن طريق الدراسة والتربية، والممارسة والتطبيق.

٣-إحياء دور مؤسسات المجتمع المدني، فالمجتمع المدني القوي، هو الذي تقوم مؤسساته على الشورى، ويساهم في تطوير الأداء العملي في المجتمع، وبه مساحة كبيرة من الحرية، تسمح له بتطبيق الشورى بضوابطها الشرعية.

٤-التعامل مع الحكام على أنهم بشر، وذلك بعدم المدح والثناء على أعمالهم بصفة مستمرة، حتى لا يشعروا بأنهم فوق الناس والقانون، فالشعوب هي التي تولى الحكام والرؤساء، وهي التي تحولهم إلى مستبدين.

والحاكم المطلق هو الذي يرى رأيه هو الصواب دائما، نذير شر على المجتمع، كما حكى القرآن الكريم عن فرعون حينما قال لقومه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾(١). وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢).

وقد ترتب على ذلك عمله مع رعيته، حتى سلموا له بالطاعة المطلقة، وذلك حين حكى الموقف القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾. (٣). فما صنع الآلهة والطغاة إلا الشعوب الضعيفة، التي لا تعرف قيمة الحرية والشورى، والعدل والمساواة، في ظل رسالة ربانية سامية من أهم أهدافها إقامة العدل في الأرض، وتحرير البشر من العبودية للبشر.

فنسأل الله ﷻ أن يعلمنا ويفهمنا،

ويرشدنا ويهدينا إلى الحق والهدى والرشاد، والطريق المستقيم.

❁❁❁

(١) سورة الزخرف الآية (٥٥).

(٢) سورة غافر الآية (٢٩).

(٣) سورة الزخرف الآية (٥٤).

(١٠٢) الهمة العالية.

١- تعريف الهمة وأهميتها.

٢- حث القرآن والسنة على الهمة العالية.

٣- موقف الناس أمام الهمة.

٤- مجالات الهمة.

٥- أسباب ضعفها.

٦- عوامل النهوض بها.

❁❁❁

١-**تعريف الهمة**: هي الباعث علي فعل شيء ما، ومحلها القلب، والمرء يطير بهمته إلى الله ﷻ، كما أن الطائر يطير بجناحيه في الهواء، وصاحب الهمة العالية مثل الشعلة، لا تقبل إلا الارتفاع دائما.

أهميتها: الهمة مقدمة الأشياء، فمن علت همته وقويت، قوي ما ورائها من الأعمال، واستصغر ما دونها من الأمور. وكل مسلم مطالب بأن يستنهض همته لتعلو، ويحركها لترتفع وتسمو، ويقويها لتصل إلى معالي الأمور، وقمم الجبال، وذرى السحاب، وآفاق السماء. وفي الحديث قال ﷺ: "إنَّ اللهَ ﷻ كريمٌ يحبُّ الكُرَماءَ ويحبُّ معالِيَ الأمورِ ويَكْرَهُ سفْسافَها"(١).

(١) الحديث أخرجه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٩١ رجاله ثقات عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

وهمة المسلم لا تقف دون الله ﷻ وطلب مرضاته، ولا تعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بديلا.

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ ∴ فَلا تَقنَعْ بما دونَ النّجومِ
فطَعْمُ المَوْتِ في أمْرٍ حَقِيرٍ ∴ كطَعْمِ المَوْتِ في أمْرٍ عَظيمِ.

كذا المعالى إذا ما رمت تدركها ∴ فاعبر إليها على جسر من التعب.

وقال المتنبي:

تُريدينَ لُقيانَ المَعَالي رَخيصَةً ∴ وَلا بُدّ دونَ الشّهدِ من إبَرِ النّحلِ

فهمة المسلم ترمي إلى الجنة، بل الفردوس الأعلى من الجنة، من خلال العبودية الصادقة لله ﷻ ونصرة الدين، والتمكين له في الأرض.

❁❁❁

٢-حث القرآن الكريم والسنة على الهمة العالية:

الرسل والأنبياء كانوا أصحاب همم عالية، وعزائم قوية، حتي إن الله سمى بعضهم بأولي العزم، أي أصحاب العزائم والهمم العالية. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾(١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ

(١) سورة الأحقاف الآية (٣٥).

أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ (٢).

وأمر الله المسلمين بالتنافس في عمل الخيرات والهمة العالية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾(٣). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (٤).

وفي قصص القرآن عظة وعبرة مثل: قصة إبراهيم عليه السلام ويوسف عليه السلام وسليمان عليه السلام وقصة طالوت، وذو القرنين.

لقد كان أصحاب النبي ﷺ على أعلى درجة من الهمة في كل شيء، ومن النماذج الراقية التي تحرك الهمم الفاترة، هذه الصور:

١-فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه الذي تسنم في الهمة أعلاها، وامتطى فيها أسماها، قال فيه ﷺ: "مَن أنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِن شيءٍ مِنَ الأشْياءِ في سَبيلِ اللهِ، دُعِيَ مِن أبْوابِ-يَعْنِي الجَنَّةَ-يا عَبْدَ اللهِ هذا خَيْرٌ، فمَن كانَ مِن أهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِن بابِ الصَّلاةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الجِهادِ دُعِيَ مِن بابِ الجِهادِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ

(١) سورة النحل الآية (١٢٠).

(٢) سورة مريم الآية (١٢).

(٣) سورة البقرة الآية (١٤٨).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٣٣)

الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِن بابِ الصَّدَقَةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصِّيامِ دُعِيَ مِن بابِ الصِّيامِ، وبابِ الرَّيّانِ، فقالَ أبو بَكْرٍ: ما علَى هذا الذي يُدْعَى مِن تِلكَ الأبْوابِ مِن ضَرُورَةٍ، وقالَ: هلْ يُدْعَى مِنْها كُلِّها أحَدٌ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: نَعَمْ، وأَرْجُو أنْ تَكُونَ منهمْ يا أبا بَكْرٍ. (١).

٢-وهذا ربيعة بن كعب الأسلمي قال: "كنتُ أبِيتُ مع رسولِ الله ﷺ آتِيه بوَضوئه وبحاجتِه فقال سَلْني فقلتُ مُرافقتَك في الجنَّةِ قال أوَ غيرَ ذلك قلتُ هو ذاك قال فأعِنِّي على نفسِك بكثرةِ السُّجودِ(٢).

٣-وهذا عكاشة بن محصن قال ﷺ: "يدخُلُ مِن أُمَّتي الجنَّةَ سبعونَ ألفًا بغيرِ حسابٍ، فقال عُكَّاشةُ بنُ مِحصَنٍ: ادعُ اللهَ أنْ يجعَلَني منهم فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "اللَّهمَّ اجعَلْه منهم) فقال آخَرُ: ادعُ اللهَ أنْ يجعَلَني منهم فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "سبَقكَ بها عُكَّاشةُ) (٣).

٤-وهذا أبو هريرة قال له النبي ﷺ: "ألَا تَسألُني مِن هذه الغَنائمِ التي يَسألُني أصحابُكَ؟ قُلتُ: أسألُكَ أنْ تُعلِّمَني ممَّا عَلَّمَكَ اللهُ. فنزَعَ نَمِرةً كانتْ على ظَهري، فبسَطَها بيْني وبيْنَه، حتى كأنِّي أنظُرُ إلى النَّملِ يَدُبُّ عليها، فحَدَّثَني حتى

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٦٦٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٣٢٠) عن ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٧٢٤٤) عن أبي هريرة ﷺ.

إذا استَوعَبتُ حَديثَه، قال: اجمَعْها، فصُرْها إليك. فأصبَحتُ لا أُسقِطُ حَرفًا ممَّا حَدَّثَني. (١).

٥-وأبو هريرة كان حريصا على إسلام أمه، وطلب من الرسول ﷺ أن يدعو الله لأمه بالهداية فدعا لها واستجاب الله لدعائه وفرح بذلك أبو هريرة فرحا شديدا يقول: (كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إلى الإسْلَامِ وَهي مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فأسْمعتْنِي في رَسُولِ الله ﷺ ما أَكْرَهُ، فأتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلتُ يا رَسُولَ الله، إنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إلى الإسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا اليومَ فأسْمعتْنِي فِيكَ ما أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَّ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بدَعْوَةِ نَبِيِّ الله ﷺ فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إلى البَابِ، فَإِذَا هو مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقالَتْ: مَكَانَكَ يا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ المَاءِ، قالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عن خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ البَابَ، ثُمَّ قالَتْ: يا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُّ، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قالَ: فَرَجَعْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ فأتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الفَرَحِ. قالَ: قُلتُ: يا رَسُولَ الله، أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُّ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عليه وَقالَ خَيْرًا، قالَ قُلتُ: يا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَّ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إلى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إلَيْنَا، قالَ: فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذا،

(١) الحديث أخرجه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء٢/ ٥٩٤ وقال شعيب الأرنؤط رجاله ثقات عن أبي هريرةرضي الله عنه.

يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأُمَّهُ إلى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ، فَما خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي.)(١).

❁❁❁

ومما ورد في السنة النبوية من أحاديث تبين مكانة ومنزلة صاحب الهمة العالية، التي ترفع صاحبها إلى أعلي الدرجات بنيته الصادقة، وعمله الصالح، وإن لم يطل به العمر، أو حيل بينه وبين أداء العمل.

١-وفي الحديث قال ﷺ: م"ن سَأَلَ اللهَّ الشَّهادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُّ مَنازِلَ الشُّهَداءِ، وإنْ ماتَ علَى فِراشِهِ". وَلَمْ يَذْكُرْ أبو الطَّاهِرِ في حَدِيثِهِ: بِصِدْقٍ. (٢).

٢-وفي الحديث قال ﷺ: "فإذا سَأَلْتُمُ اللهَّ، فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ وأَعْلَى الجَنَّةِ-أُراهُ-فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ"(٣). وفي الحديث قال ﷺ:"إذا سأَل أحَدُكم فلْيُكثِرْ فإنَّه يسأَلُ ربَّه"(٤).

٣-وفي الحديث قال ﷺ: "سبق درهمٌ مائةَ ألفِ درهمٍ فقال رجلٌ وكيف ذاك يا رسولَ الله فالرَّجلُ له مالٌ كثيرٌ أخذ من عرَضِه مائةَ ألفِ درهمٍ تصدَّق بها ورجلٌ ليس له إلَّا درهمان فأخذ أحدَهما فتصدَّق به"(١).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٤٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٩٠٩) عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٧٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٨٨٩) عن أبي هريرة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وفي الحديث قال ﷺ: "ما مِنَ امرئٍ تَكُونُ لهُ صلاةٌ بِلَيْلٍ، فَيَغْلِبُهُ عليْها نَوْمٌ إِلَّا كتب اللهُ لهُ أَجْرَ صلاتِهِ، و كان نَوْمُهُ عليهِ صَدَقَةً"(٢).

❁❁❁

٣-موقف الناس أمام الهمة:

١-فمن الناس من هو ساقط الهمة، فهو مثل سقط المتاع، لا يطلب إلا سفاسف الأمور ودناياها، فيعيش للذات والشهوات فقط. يقول قطري بن الفجاءة:

وما للمرء خير في حياة ∴ إذا ما عُدّ من سقط المتاع.

ويقول الشيخ محمد الغزالي: (وكم في الحياة من طامحين لا يملكون إلا الجرأة على الأمل، وكم في الحياة من راسخين يطويهم الصمت، حتى إذا كلفوا أتوا بالعجب العجاب) (٣).

٢-ومن الناس من يطلب الهمة باللسان فقط، دون عمل أو تعب أو جهد، أ و معاناة.

وما نيل المطالب بالتمني ∴ ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

---

(١) الحديث أخرجه الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٦٦ حديث حسن، عن أبي هريرةﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٢٨٠ قال الألباني حسن لغيره عن أم المؤمنين عائشة ﷺ.

(٣) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي.

وما استعصى على قومٍ منالٌ ∴ إذا الإقدام كان لهم ركابا.

٣-ومن الناس من تسموا به همته إلى معالي الأمور وعظائمها. فاذا عقدت الهمة علي فعل شيء فتوكل على الله ولا تتردد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (١).

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ∴ فإن فساد الرأي أن تترددا

وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا ∴ فإن فساد العزم أن يتقيدا.

وإذا كانت النفوس كبارا ∴ تعبت في مرادها الاجسام.

وقال ابن الرومي:

قلب يظل على أفكاره وئد ∴ تمضي الأمور ونفس لهوها التعب.

فأحلام الأمس حقائق اليوم، وأحلام اليوم حقائق الغد، ولا يكون ذلك إلا بالهمة العالية الصادقة.

والهمة العالية لا تكون إلا بالتضحية بالنفس والنفيس والغالي والعزيز في سبيل تحقيق أمنياته وغاياته، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩).

ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (١). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾(٢).

قال أبو تمام:

بصرت للراحة الكبرى فلم أرها ∴ تنال إلا على جسر من التعب

وقال الحصين الفزاري:

تأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ ∴ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا ∴ وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا.

فصاحب الهمة العالية لا يعرف الكسل والفتور، ولا يعرف القعود والدونية، ولا يعيش على هامش الحياة بل يعيش في صلبها وفي مقدماتها، ويكون عاملا مؤثرا فيها، ويترك فيها أثرا وبصمة قبل أن يبرح عنها.

قال طرفة بن العبد:

إذا القومُ قالوا مَن فَتًى؟ خِلتُ أنّني ∴ عُنِيتُ فلمْ أكسَلْ ولم أتبَلّدِ.

وقال محمود البارودي:

ومن تكن العلياء همة نفسه ∴ فكل الذي يلقاه فيها مجيب.

وقال حافظ إبراهيم:

لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم ∴ فلربَّ مغلوبٍ هوى ثمَّ ارتقى

(١) سورة التوبة الآية (١١١).

(٢) سورة طه الآية (٨٤).

مَدَّتْ له الآمال من أفلاكها ∴ خيطَ الرجاء إلى العلا فتسلَّقا
فتجشَّموا للمجد كلَّ عظيمة ∴ إني رأيت المجد صعب المرتقى
من رام وصل الشمس حاكَ خيوطها ∴ سبباً إلى آماله وتعلقا.

❁❁❁

٤-مجالات الهمة:

١-الهمة في طلب العلم وتحصيله وفهمه ومدارسته وتعليمه للناس والعمل به، قال يحيى بن كثير: (لا ينال العلم براحة الجسد).

٢-علو الهمة في حفظ القرآن الكريم، والمداومة على قراءته ومدارسته وإتقانه، حتى يكون ماهرا به من غير كلفة أو مشقة.

وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "يُقَالُ لِصاحبِ الْقُرَآنِ: اقْرأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا، فَإنَّ منْزِلَتَكَ عِنْد آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا "(١). وفي الحديث أيضا قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "الَّذِي يَقرَأُ القُرْآنَ وَهُو ماهِرٌ بِهِ معَ السَّفَرةِ الكرَامِ البررَةِ، والذي يقرَأُ القُرْآنَ ويتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُو عليهِ شَاقٌّ له أجْران "(٢).

٣-علو الهمة في العبادة والدين. قال وهب بن الورد: (إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترْمذي(٢٩١٤) وقال حديث حسن صحيح. عن عبدالله بن عمرو ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٩٠٤) حديث صحيح ﷺ.

وقال الشيخ شمس الدين التركستاني: (ما بلغني عن أحد من الناس أنه تعبد عبادة، إلا تعبدت نظيرها وزدت عليه).

وقال الحسن رحمه الله: (من نافسك في دينك فنافسه فيه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره).

قال هشيم تلميذ منصور بن زاذان: (كان لو قيل له-أي منصور-: إن ملك الموت على الباب، ما كان عنده زيادة في العمل).

٤-علو الهمة في الدعوة: انظر قصة أبي بكر الصديق، والطفيل بن عمر الدوسيﷺ وأبي ذر الغفاريﷺ وأبي هريرةﷺ.

علو الهمة في الجهاد: قال عمر بن حصين ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب) قصة عمر بن الجموحﷺ، حنظلة بن أبي عامرﷺ، سعد بن معاذﷺ، مصعب بن عميرﷺ.

علو الهمة في البحث عن الحقيقة في طلب الحق: انظر قصة سلمان الفارسـيﷺ وأبي ذر الغفاري ﷺ.

علو الهمة في الإصلاح والتغيير: مثل قصة أبي بكر الصديقﷺ، في محاربة المرتديـن، وعمر بن عبدالعزيزﷺ في رد المظالم إلى اهلها ونشر العدل، والعز بن عبدالسلام-رحمه الله-في التعامل مع المماليك. ❁❁❁

٥-أسباب ضعف الهمة:

١-الوهن والضعف العام، وفي الحديث قال ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول اللهِ! وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت "(١).

٢-الفتور والشعور بالعجز والكسل، وفي الحديث قال ﷺ: "إن لكل نفس شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾(٢).

٣-إهدار الوقت وعدم معرفة قيمته، وإنفاقه في غير موضعه، وفي الحديث قال ﷺ: "نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ". (٣).

فالوقت هو الحياة، فمن أضاع وقته فقد أضاع عمره وحياته، والواجبات أكثر من الأوقات.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٢٩٧) إسناده حسن، عن ثوبان ﷺ.مولى رسول الله ﷺ.

(٢) سورة التوبة الآية (٤٦).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٦١٢) عن عبدالله بن عباس ﷺ.

٤-الغفلة الطويلة التي تنسى الإنسان غايته وأهدافه، قال ابن القيم: (لابد من سنة الغفلة، ورقاد الغفلة، ولكن كن خفيف النوم).

٥-التسويف والتمني، وذلك يضيع الأعمار دون الاستفادة منها في تحقيق الغايات، انظر قصة كعب بن مالك وأصحابه، كان سببها التسويف والإرجاء.

٦-الإسراف في تناول المباحات، والتعلق بالحياة الدنيا ومادياتها، والإسراف في تناول الطعام والشراب، وفضول الكلام، وفضول النوم، وفضول المخالطة، كل ذلك يجعل الجسد في مرحلة استرخاء، فلا ينهض بأعباء الدعوة وتكاليفها. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا تصغرن همتك، فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته).

❁❁❁

٦-عوامل النهوض والارتقاء بالهمة:

١-مداومة القراءة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وسير السلف الصالح، والصالحين والمصلحين والدعاة الربانيين، وأصحاب العزائم والهمم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (٢).

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٤٦).

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٤).

٢-القراءة في دواوين الشعر العربي، التي تبعث الحماسة، وتقوي الهمة، وترفع العزيمة، مثل ديوان الحماسة لأبي تمام، وديوان المتنبي، وأبي فراس الحمداني، وشعراء الدعوة الإسلامية قديما وحديثا.

٣-أخذ النفس بالهمة والعزيمة والمثابرة، والمجاهدة لشهوات النفس، وعدم الركون إلى الراحة والدعة، والرفاهية والانشغال بمعالي الأمور، وترك سفاسفها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾(١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (٢).

فقوة الإرادة في مقاومة ميل النفس إلى الدعة والراحة، هي التي تحمل النفس على العمل، وترغمها على عدم الانجراف وراء ساعات النوم الكثيرة، وفضول الطعام والشراب والكلام، وترغم النفس على تنظيم الوقت، والإفادة منه في أعمال عظام.

والتربية القوية هي التي تدرب الشخص على مقاومة الأهواء والشهوات، وتربية الإرادة في نفسه التي تكبح جماح هذه الأهواء والشهوات، فالإنسان قد يفشل في المرة الأولى، لكنه بالتربية والتدريب والمران والمثابرة يصمد في المرة التي تليها.

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٦٩).

(٢) سورة آل عمران الآية (٢٠٠).

٤-الإلحاح على الله في الدعاء، بأن يجعله من أصحاب الهمم العالية، والعزائم القوية، والنفوس الراقية، والأخلاق الحميدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾(١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (٢).

٥-الزهد في الدنيا؛ لأنه إذا عرف حقيقة الدنيا أنها فانية زائلة، وأنها كالعصف المأكول، فإذا عرف قيمة الدنيا وتفاهتها وحقارتها وزوالها وفناءها فإنه يزهد فيها، وتتطلع همته إلى الأمور العليا، إلى الآخرة، وإلى الجنان وما أعد الله فيها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ

(١) سورة آل عمران الآية (٨).

(٢) سورة البقرة الآيتان (٢٥٠-٢٥١).

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ (١).

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه قال: "أَخَذَ رَسولُ اللهَّ ﷺ بمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وكانَ ابنُ عُمَرَ، يقولُ: إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"(٢).

٦-مصاحبة الأخيار والصالحين، وأصحاب النيات الخالصة، والهمم العالية، والنفوس الصافية، فإن الأخلاق تعدي، والنفوس تتأثر ببعضها، والصحبة تنعكس على المصاحب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣).

فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا الهمة العالية، والعزيمة القوية،

ومرافقة النبي ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنة.

❁❁❁

(١) سورة الحديد الآيتان (٢٠ – ٢١).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤١٦) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) سورة الكهف الآية (٢٨).

(١٠٣) سباق الوقت في حياة المسلم

١-حث القرآن على السبق والمسارعة في فعل الخير.

٢-حث السنة على الاستفادة من الوقت.

٣-الاستنفار للعبادات في أول الوقت.

❁❁❁

١-حث القرآن على السبق والمسارعة في فعل الخير:

١-لقد جاءت آيات في القرآن الكريم تحث المسلم على المسابقة والمسارعة في عمل الخير، وفعل الخيرات، لأن الوقت يمضي سريعا، فينتهز الفرصة في أول الوقت بالمسابقة فقد لا تتاح أو تتكر فيما بعد. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران الآية (١٣٣).

(٢) سورة الحديد الآية (٢١).

٢-أقسم الله بالوقت في مطلع عدة سور من القرآن الكريم وذلك لأهميته، وقيمته، والله لا يقسم إلا بالشيء العظيم الذي له قيمة كبيرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ ﴾(١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾(٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ (٣).

٣-الوقت مقسم إلى ليل ونهار، وهما مختلفان، وآيتان من آيات الله، وهما أوقات وساعات، يمثلان عمر كل شيء في الحياة، فانتدب الله أصحاب العقول والذكاء إلى الاستفادة منهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ﴾ (٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الفجر الآية (١-٥).

(٢) سورة الضحى الآية (١-٣).

(٣) سورة العصر الآية (١-٢).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٩٠).

(٥) سورة الفرقان الآية (٦٢).

٤-حرض الله المؤمنين على الذكر والتسبيح والاستغفار في أول الليل والنهار، ليكون فاتحة كل وقت منهما بالعبادة الموصلة بالله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٢).

٥-أعطى الله للإنسان وقتا في الحياة ليتذكر مرة بعد أخرى، ويتدبر الأحداث ويتعلم منها إذا أحسن التفكير والتدبير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٣).

٦-الحياة كلها فترة قصيرة جدا في عمر الإنسان، فهي تساوى ساعة واحدة، فلابد أن يستفيد منها الإنسان في الطاعة قبل أن يندم على ضياع الفرصة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٤).

(١) سورة الروم الآية (١٧).

(٢) سورة غافر الآية (٥٥).

(٣) سورة فاطر الآية (٣٧).

(٤) سورة الروم الآية (٥٥).

٧-إن أكبر خسارة في الحياة أن يخسر الإنسان نفسه ومن يعول، حينما يضيعون أعمارهم في اللهو واللعب، وقد خلقوا لغير ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ (١).

فمن خسر عمره ووقته، وانتهى أجله، فقد أضاع وقت الاختبار ولم يبق إلا الحساب والمحاسبة، وإعلان النتيجة المفاجئة للجميع.

❁❁❁

٢-حث السنة النبوية على الاستفادة من الوقت:

١-هناك أحاديث كثيرة جاءت في السنة النبوية تبين أن الوقت نعمة، وهو رأس مال الإنسان، وينبغي أن يوظفه في رسالته التي خلق من أجلها، وهي عبادة الله وتوحيده، وفي الحديث "نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ" (٢).

ولا يعرف قيمة النعم إلا من فقدها، فلا يعرف قيمة الصحة إلا المريض، والوقت إلا صاحب الأعمال.

---

(١) سورة الزمر الآية (١٥).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤١٢) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

٢-الوقت كنز عظيم، فهو حياة الإنسان وعمرهن والعاقل من يجعله غنيمة، يستفيد منها قبل فواتها وضياعها، وفي الحديث "اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ " (١). وكلها تدور حول العمر والوقت الحياة ومراحل القوة وفرصة الصحة ووقت الشباب.

٣-الوقت أحد الأمور المهمة التي يسأل عنها الإنسان يوم القيامة، وكذلك فترة القوة والعطاء الفتوة والشباب على وجه الخصوص، وفي الحديث: "لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربعٍ: عن عُمرِهِ فيمَ أفناهُ؟ وعن علمِهِ ماذا عمِلَ بهِ؟ وعن مالِهِ مِن أينَ اكتسبَهُ، وفيمَ أنفقَهُ؟ وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ؟". (٢).

٤-هناك صوارف كثيرة تصرف الإنسان عن صلب رسالته التي خلق من أجلها لذلك عليه مقاومة تلك الصوارف بسرعة المبادرة بالاستفادة من الوقت، وفي الحديث: "بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"(٣).

---

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٥٥) صحيح، عن عبدالله بن عباسﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٥٥) حسن صحيح، عن أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيدﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١١٨) عن أبي هريرةﷺ.

٥-ولأهمية الوقت في الحياة والمعارك ومفاجأة العدو بالمباغتة، والضربة السابقة، حتى لا يستعد بالمقاومة، ويلجأ إلى التسليم والاستسلام، استنفر النبي الصحابة بعد انتهاء غزوة الأحزاب لمحاصرة بني قريظة، حتى يفاجئوهم من أجل ذلك قال: "من كان سمعيا بصيرا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة".

واختلف الصحابة في فهم النص، فمنهم من التزم بحرفية وكان هو الأصوب، لأن كل دقيقة كانت فارقة في تاريخ المعركة، ومنهم من اجتهد وصلى في الطريق حتى لا تضيع منه الفرصة ولم يخطئه النبي ﷺ.

٦-حرض الإسلام المسلم على التبكير في طلب الرزق، وبين أن فيه بركة من الله حتى يتحرك المسلم مع أول شعاع في ضوء النهار للسعي على المعاش، وعمارة الأرض وفي الحديث: "اللهم بارك لأمتي في بكورها - وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجراً، وكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله. الترمذي وحسنه عن عن صخر بن وداعة الغامدي.

فأفضل أوقات للسعى على الرزق والدراسة والمذاكرة والحفظ ما كان بعد الفجر مباشرة.

❁❁❁

٣-استنفر الله المسلمين للعبادات في أول الوقت:

١-العبادات تكسب المسلم قمة الشعور بعظمة الله، لذلك حرص الإسلام على أدائها في أول الوقت حتى يحظى المسلم برضا الله تعالى وتوفيقه ورعايته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (١).

وفي حق الزكاة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (٢).

وفي حق الصيام جعله أياما معدودات حتى يستفيد منها المسلم ليلا ونهار

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة النساء الآية (١٠٣).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٤١).

(٣) سورة البقرة الآية (١٨٤).

(٤) سورة البقرة الآية (١٨٧).

وفي الحديث قال ﷺ: "صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فإنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمُ الشَّهْرُ فَعُدُّوا ثَلاثِينَ" (١).

وفي الحج، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴿١٩٧﴾﴾ (٢). فلابَّد أن يستعد له قبل قدومه ويعد الزاد والراحلة ليأخذ منه زاد الإيمان والتقوى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ (٣).

٢-وفي صلاة الجمعة حث على التبكير والذهاب في الساعة الأولى، ففي الحديث: "من غسَّلَ يومَ الجمعةِ واغتسلَ ثمَّ بَكَّرَ وابتكرَ ومشى ولم يرْكب ودنا منَ الإمامِ فاستمعَ ولم يلغُ كانَ لَهُ بِكلِّ خطوةٍ عملُ سنةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها"(٤).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: "مَنِ اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ كَبْشًا أقْرَنَ، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة الآية (١٩٧).

(٣) سورة البقرة الآية (١٩٧).

(٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٣٤٥) صحيح، عن أوس بن أبي أوس وقيل أوس بن أوس والد عمرو رضي الله عنه.

دَجَاجَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ"(١).

٣-والإسلام طلب العدد والاحصاء في الوقت في مجالات كثيرة منها إحصاء عدة المطلقة حتى لا تختلط المدة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ ﴿١﴾ ﴾(٢).

وفي رضاع المولود طلب من الوالدين إحصاء مدة الرضاعة لمن أراد أن يتم المدة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ (٣).

٤-وفي مجال الزواج حرض الشباب عليه وهو في مقتبل عمره، حتى تسكن الغريزة في سن مبكرة، ويحصن نفسه بالبعد عن الحرام والشبهات، وفي الحديث قال ﷺ "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإِنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ، فإِنَّه له وِجَاءٌ" (٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الطلاق الآية (١).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٣٣).

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٤٠٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٥-والعبادات كلها لها بداية ونهاية، ووقت فضيلة، ووقت جواز، ووقت كراهة، وهذا يجعل المسلم يؤديها في أول وقتها كما قيل: (الصلاة في أول الوقت مرضاة الله، وفي آخر الوقت عفو الله)

فكل شيء يؤدى في وقت،ه دون تقديم أو تأخير، ومما اشتهر عن الفقهاء قولهم: (فمن تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه).

٦-إن دقات القلب جهاز إنذار لصاحبها، تخبره بأن عمره معدود ومحدود، فلابد من الاستفادة منه قبل ضياعه وانقضائه، فهو عداد رقمي يحصى عليه عمره.

دقات قلب المرء قافلة له ∴ إن الحياة دقائق وثواني

٧-هناك عدد كبير من العلماء كانت أعمارهم قصيرة، وأعمالهم جليلة وعظيمة، فتركوا علما غزيرا ينتفع به المسلمون حتى قيام الساعة، فالنووي مات عن خمس وأربعين سنة وترك تراثا فقهيا ضخما أضاف به جديدا في الفقه الإسلامي.

٨-وكان الزهري-رحمه الله-حريصا على وقته ليستفيد به في البحث والعلم والتنقيب عن المعلومات الشرعية وكان يقول:

والوقت أشد ما عنيت بحفظه ∴ وتراه أيسر ما علَّى يضيع

٩-وكتب الشيخ عبد الفتاح أبو غده كتابا عن العلماء العزاب بين فيه أنهم أفنوا أعمارهم في خدمة العلم، وانشغلوا به عن الزواج، فكانت كتبهم أولادا لهم، كلما انتفع الناس بها كلما حصلوا الأجر والثواب من الله وهم في قبورهم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ (٢).

١٠-فالوقت هو الحياة، وعمر الإنسان أغلى ما يملكه، والمبادرة في عمل الخير من أفضل الفرص التي يستغلها الإنسان قبل أن تضيع، والفارغون الذين يقتلون الوقت باللهو واللعب إنما يقتلون أنفسهم دون أن يشعروا، يوم القيامة، وسوف يندم الصالحون أيضا يوم القيامة على كل دقيقة ولحظة مرت من أعمارهم في غير طاعة الله كانت سوف ترفعهم درجة في الجنة.

عجبت للجنة كيف نام طالبها ∴ وعجبت من النار كيف نام هاربها

١١-فالفلاح في الدنيا والآخرة مرتبط بالاكثار من العمل الصالح، وفعل الخير على طول عمر الإنسان، وعلى مسار حياته كلها من بعد سن التكليف حتى الممات. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٣). ❁❁❁

(١) سورة الكهف الآية (٤٦).

(٢) سورة مريم الآية (٧٦).

(٣) سورة الحج الآية (٧٧).

١٠٤) الفتن أسبابها وصورها وكيفية الوقاية منها.

١-تعريفها وطبيعتها.

٢-تحذير النبي ﷺ الأمة من الفتنة.

٣-أسباب الوقوع فيها.

٤-أنواعها وصورها.

٥-كيفية الوقاية منها.

❁❁❁

١-تعريف الفتن:

جمع فتنة، وهي تدور حول معان كثيرة، منها الابتلاء، والاختبار، والامتحان، وأصل الكلمة مأخوذة من فتنة الذهب والفضة، وذلك بإذابتهما في النار حتى يتحولا إلى سائل ليتميز الرديء من الجيد، وكذلك الناس في الحياة يفتنون بوسائل شتى، ويمتحنون بصور متعددة، ليتميز الخبيث من الطيب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران الآية (١٧٩).

-وقد تأتي الفتنة بمعنى الإعجاب، فيفتن الرجل بالمرأة، أي يعجب بها، ويحبها، ويتعلق قلبه بحسن صورتها وشكلها.

-وقد تأتي الفتنة بمعني الاختلاف، والاقتتال بين الناس بالحروب والمعارك، ومنه جاء الحديث النبوي: "أَشْرَفَ النبيُّ ﷺ علَى أُطُمٍ مِن آطَامِ المَدِينَةِ، ثُمَّ قالَ: هلْ تَرَوْنَ ما أَرَى؟ إنِّي أَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ"(١).

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: (رأيت عموم الناس ينزعجون لنزول البلاء انزعاجًا يزيد عن الحد، كأنهم ما علموا أن الدنيا على ذا وضعت، وهل ينتظر الصحيح إلا السقم، والكبير إلا الهرم، والموجود سوى العدم، ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تَعْتَوِرْ فيها الأمراضُ والأكدار) (٢).

وكل هذه المعاني السابقة، تتحقق في الفتنة التي تصيب المرء في الحياة، فالحياة كلها اختبار وامتحان، فهي سنة إلاهية كونية ماضية في كل البشر إلى يوم القيامة، ونتيجة هذا الاختبار تظهر في الدار الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٤٦٧) عن أسامة بن زيد ﷺ.

(٢) موسوعة فقه الابتلاء،٤/ ١٢٩.

(٣) سورة الحاقة الآية (١٨).

-ومن ثم يمكن تلخيص الحياة كلها في هذه الآيات التي تعبر عن المشهد في كلمات معدودة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾(١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾(٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾(٣).

٢-تحذير النبي ﷺ الأمة من الفتنة:

لقد وردت أحاديث كثيرة عنه ﷺ تحذر المسلمين أجمعين على مدر العصور والدهور من الفتنة، ما ظهر منها وما بطن، حتى يكونوا على وعي بها، فالعاقل من يعرف الفتنة قبل الدخول فيها، فيعرف طريق الوقاية والنجاة.

ومن بين هذه الأحاديث ما يأتي:

١-أخبر ﷺ بقدوم الفتن ليحذرها المسلمون قال ﷺ: "ستكون فتنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، و القائمُ فيها خيرٌ من الماشي، و الماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرَّف لها تستَشْرِفُه؛ و من وجد فيها ملجأً أو معاذًا فلْيَعُذْ به(٤).

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٢).

(٢) سورة الكهف الآية (٧).

(٣) سورة الملك الآية (٢).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٦٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢-كان ﷺ يأمر الصحابة بأن يتعوذوا من الفتن، قال ﷺ: "تَعَوَّذُوا باللهَّ مِنَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها وَما بَطَنَ قالوا: نَعُوذُ باللهَّ مِنَ الفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وَما بَطَنَ، قالَ: تَعَوَّذُوا باللهَّ مِن فِتْنَةِ الدَّجَّالِ قالوا: نَعُوذُ باللهَّ مِن فِتْنَةِ الدَّجَّالِ"(١).

٣-كان ﷺ يتعوذ من أربعة أنواع الفتن بنفسه: "أعوذُ باللهِ من عذابِ القبرِ، وأعوذُ باللهِ من عذابِ النارِ، وأعوذُ باللهِ من الفتنِ ما ظهر منها وما بطنَ، وأعوذُ باللهِ من فِتنةِ الأَعْوَرِ الكذَّابِ"(٢).

٤-كان ﷺ يرغب في البعد عن الفتن وعدم الدخول فيها، وفي الحديث قال النبي ﷺ: "إنَّ السعيدَ لمن جُنِّبَ الفِتنَ، قال: إنَّ السعيدَ لَمن جُنِّبَ الفِتنَ قال: إنَّ السَّعيدَ لَمن جُنِّبَ الفِتَنَ قال: ولَمن ابتُلِيَ فصبرَ فواهًا"(٣).

❁❁❁

(٣) أسباب الوقوع في الفتن:

لا شك أن معرفة الفتن قبل قدومها وحين ظهورها، أمر في غاية الأهمية، حتى يبعد الإنسان نفسه عن الدخول فيها، وإذا فرضت نفسها عليه يعرف كيف الخروج منها بلا ضرر ولا تأثير، لكن هناك بعض الأسباب التي تجعل بعض الناس إذا اتصفوا بها أو بعضها تجعلهم يقعون في الفتن، ولا يعرفوا كيف الخروج منها، ومن بين هذه الأسباب ما يأتي:

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٦٧) زيد بن ثابت ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٣١ اسناده صحيح عن أبي نضرة ﷺ.

(٣) الحديث ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٦٦٧ عن المقداد بن عمرو بن الأسود ﷺ.

١-**اتباع الأهواء**: فالشخص الذي يتبع هواه، لا يتحرى الحق والصواب، وتفسد نيته وقصده، بل هو يسير حسب هواه الشخصي، ومن ثم يقع في المحذور، شاء أم أبى، ولذلك جاء التحذير من اتباع الهوى في القرآن الكريم لخطورته على الإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١).

وقال تعالى محذرا نبيه داود عليه السلام من اتباع الهوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٢).

فاتباع الأهواء يؤدي إلى فساد النية، وسوء المقصد، فيكله الله إلى نفسه، فيضل أو يضل.

٢-**الجهل بالدين**: إذا غاب الإنسان عن العلم الشرعي الذي ينير له الطريق، ويمهد له السبيل، فيتخبط الإنسان فيما حوله من الشبهات، وهو لا يعرف الفتنة، وأنواعها، وصورها، ومداخلها، ومخارجها، فكيف ينجو منها وهو ليس لديه علم يهديه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الجاثية الآية (٢٣).

(٢) سورة ص الآية (٢٦).

(٣) سورة الجاثية الآية (٢٤).

وفي الحديث قال ﷺ: "إنَّ بيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أيَّامًا، يُرْفَعُ فيها العِلْمُ، ويَنْزِلُ فيها الجَهْلُ، ويَكْثُرُ فيها الهَرْجُ، والهَرْجُ: القَتْلُ"(١).

٣-اتباع المتشابهات وترك المحكمات: فاتباع المتشابهات من النصوص الشرعية، وترك المحكمات القاطعة، يجعل من يفعل ذلك يقع في الفتن، كما وقع لبعض الفرق القديمة، والله يحذر المسلمين من ذلك فيقول، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ (٢).

٤-الغلو في الدين: وذلك بالوقوع في الإفراط أو التفريط، فالغلو باب من أبواب الفتنة، وقع فيه أهل الكتاب من قبل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٣).

وفي الحديث قال ﷺ: "إيَّاكم والغُلوَّ في الدِّينِ، فإنَّهُ أهْلَكَ من كانَ قبلَكُمُ، الغلوُّ في الدِّينِ"(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٠٦٤) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) سورة آل عمران الآية (٧).

(٣) سورة المائدة الآية (٧٧).

(٤) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٣٠٢٩) حديث صحيح عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٥-**حب الدنيا وكراهية الموت**: وذلك هو الوهن والضعف الذي يضيع الفرد والأمة، إذا ابتليت بهذا المرض العضال الفتاك، وفي الحديث قال ﷺ: "يُوشَكُ أن تَداعَى عليكم الأممُ كما تداعَى الأكلةُ على قصعتِها، قيل: يا رسولَ اللهِ أمِن قلةٍ بنا؟ قال: لا ولكنَّكم غثاءٌ كغثاءِ السيلِ، تُنزَعُ المهابةُ من قلوبِ عدوِّكم منكم، ويُوضعُ في قلوبِكم الوهنُ، قالوا: يا رسولَ اللهِ وما الوهنُ؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموتِ) (١).

❁❁❁

٤-أنواع الفتن وصورها:

الفتن كلها ترد إلى سببين رئيسين، هما فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات، فأما فتنة الشبهات فهي التي تعارض العقيدة، وينتج عنها انحراف في الفهم والتصور والمفاهيم، فيبعد الإنسان عن الفهم الصحيح للدين، وأما فتنة الشهوات، وهي التي تعارض فطرة الإنسان، وهي تؤدي إلى فساد الأخلاق والسلوك والأعمال، والأولى تعالج باليقين في العلم، والثانية تعالج بالصبر عليها، وعدم الولوج فيها، ولذلك جعل الله إمامة الدين في التغلب على هذه الشبهات، والتحلي بالصبر واليقين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢).

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٢٩٧) إسناده حسن، عن ثوبان رضي الله عنه.

(٢) سورة السجدة الآية (٢٤).

من صور الفتن:

الفتن تأخذ صور كثيرة ومتعددة، إذا أفلت الإنسان من بعضها تحاصره الفتن الباقية، ولا يسلم من ذلك إلا من حفظه الله، بحفظه وكلأه برعايته، ومنها:

١-**فتنة النساء**: لقد بدأ الله بفتنة النساء، حينما تحدث عن رسالة الإنسان في الحياة، التي اختبره بها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (١).

وفتنة النساء من أشد الفتن على الرجال، حتى قال النبي ﷺ: "ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ علَى الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ" (٢).

وتكمن الفتنة في خروج المرأة من بيتها، ومزاحمتها للرجال في الطرقات، وتبرجها، وتفننها في إبراز مفاتنها، فيقع في حبائلها من لا يحفظ بصره، ولا يغض طرفه.

وفي الحديث قال ﷺ: "إنَّ الدُّنيا حُلْوةٌ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، فمَنِ اتَّقى فيها وأصلَح في ذلك، ألَا وهو كالآكِلِ ولا يشبَعُ، فبُعدُ النَّاسِ كبُعدِ الكوكبَينِ، أحدُهما يطلُعُ بالمشرِقِ، والآخرُ يغيبُ بالمغربِ) (٣).

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠٩٦) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٣) الحديث ذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤٩ فيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف، عن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

٢-**فتنة الأولاد**: وذلك حينما يتعلق قلب الإنسان بحب ولده، أكثر من حب الله ورسوله والدين، ويفتتن بأولاده حينما يتباهي بهم، أو يستمد منهم القوة والسطوة، أو يتطاول بهم على الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾(١).

٣-**فتنة المال**: وذلك من خلال تحصيله من أي مصدر كان، ونسبة الغنى والثراء لكسب الإنسان وذكائه، وعلمه وقدراته، كما فعل قارون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٣).

فالمال عصب الحياة، وعمودها الفقري، وهو وسيلة لنهضة الأمم، وتحقيق مطالب الحياة، لكنه فتنة واختبار عند العقلاء، في الحديث قال ﷺ: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وإِنَّ فتنةَ أمتي المالُ"(٤). وفي الحديث قال ﷺ: "فَوَاللهِ ما الفَقْرَ أَخْشَى

(١) سورة التغابن الآية (١٥).

(٢) سورة القصص الآية (٧٨).

(٣) سورة الزمر الآية (٤٩).

(٤) الحديث ذكره الألباني في صحيح الجامع (٢١٤٨) عن كعب بن عياض رضي الله عنه.

عليْكُم، ولَكِنْ أخْشَى علَيْكُم أنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كما بُسِطَتْ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا، وتُلْهِكُمْ كما أَلْهَتْهُمْ" (١).

٤-**فتنة المنصب والجاه والشهرة**: فولاية أمور الناس العامة والخاصة ابتلاء واختبار من الله للإنسان، هل سيقوم بحقها، ويقض مصالح الناس، وييسر لهم، أم أنه يستغل هذه الأمور لتحقيق أطماعه الشخصية، ومآربه الدنيوية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾(٢).

وفي قصة طالوت واختيار الله له ملكا على بني إسرائيل، فاعترضوا عليه، طمعا فيما أعطاه الله إياه، واصطفاه واختاره له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ (٣).

كما أن الشهرة لها سحر وبريق، لا يسلم من ذلك إلا من جاهد نفسه، وليس لنفسه في ذلك حظ أو نصيب، وإنما يعلم ذلك بلاء من الله، ليبلوه أيشكر أم يكفر.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٢٥) عن عمرو بن عوف المزني ﷺ .

(٢) سورة الفرقان الآية (٢٠).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٤٧).

٥-الفتنة العامة: ومن صور هذه الفتنة الاختلاف بين المسلمين الذي يؤدي إلى التفرق، والتحزب، والتعصب، والاقتتال دون وجه حق، انتصارا لفكرة يحملها، أو صراعا على السلطة، أو تحقيقا لمكاسب دنيوية.

فوقوع الهرج والقتل فتنة عظيمة من أخطر الفتن، لما يترتب عليها من استحلال الدماء بدون وجه حق. "لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ، ما لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا"[١].

وفي الحديث قال ﷺ: "قتلُ المؤمنِ أعظمُ عندَ اللهِ من زوالِ الدُّنيا"(٢). وفي حجة الوداع، "إنَّ دماءكم وأموالَكُم وأحسبُهُ قالَ: وأعراضَكُم علَيكم حرامٌ كحُرمةِ يومِكُم هذا في شَهْرِكُم هذا في بلَدِكُم هذا"(٣).

ومن صور الفتن العامة، أن الناس جميعا فتنة بعضهم لبعض، فالمرأة فتنة للرجل والعكس، والغني فتنة للفقير، والعكس، والفاجر الفاسق فتنة للبر الصالح، والعكس، والشر والباطل فتنة للخير والحق، وهكذا الحياة كلها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٨٦٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الحديث أخرجه الإمام النسائي (٣٩٩٠) وإسناده صحيح، وكل رجاله ثقات، عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه.

(٣) فقه السيرة للغزالي ص٤٥٤ جاء سندها في أحاديث متفرقة، وقسم منها رواه الإمام مسلم.

(٤) سورة الأنبياء الآية (٣٥).

وفتنة السراء والنعم والعطاء من الله، أشد على النفس من فتنة الضراء والنقم والمنع. "لَأَنا لفِتنةِ السَّرَّاءِ أخوفُ عليكم مِن فتنةِ الضَّرَّاءِ إنَّكم قد ابتُليتُم بفتنةِ الضَّرَّاءِ فصبَرْتُم وإنَّ الدُّنيا خَضِرةٌ حُلْوةٌ(١).

وقال عبد الرحمن بن عوف: (بلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر) (٢).

❁❁❁

(٥)كيفية الوقاية من الفتن:

١-الاعتصام بالكتاب والسنة: فمن اعتصم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ في جميع شؤون حياته، حفظه الله من الفتن ماظهر منها وما بطن، فهما صمام الأمان للفرد والأسرة والمجتمع، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٣). قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (٤).

وفي الحديث قال ﷺ: "تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ ﷺ"(٥).

---

(١) الحديث ذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤٨ فيه رجل لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٤٦٤) حديث حسن، عن حميد بن عبدالرحمن رضي الله عنه.

(٣) سورة الزخرف الآية (٤٣).

(٤) سورة طه الآية (١٢٣).

(٥) الحديث ذكره الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (١٨٤) إسناده حسن، عن مالك بن أنس رضي الله عنه.

٢-الاستعانة بالله ﷻ من خلال الدعاء المستمر: والتعوذ من الفتن، ويسأل الله أن يجنبه إياها، وفي الحديث قال ﷺ: "تَعَوَّذُوا باللهِ مِنَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها وَما بَطَنَ قالوا: نَعُوذُ باللهِ مِنَ الفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وَما بَطَنَ، قالَ: تَعَوَّذُوا باللهِ مِن فِتْنَةِ الدَّجَّالِ قالوا: نَعُوذُ باللهِ مِن فِتْنَةِ الدَّجَّالِ"(١).

وفي الحديث قال ﷺ: "اسْتَيْقَظَ رَسولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا، يقولُ: سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الخَزَائِنِ، ومَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ، مَن يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ- يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ-رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ"(٢).

٣-لزوم التوبة والاستغفار: فالتوبة تمحي الذنوب والمعاصي، والاستغفار والذكر يجعل الإنسان موصولا بالله، فيحفظه الله من الفتن، ومضلات الهوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (٣). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (٤).

٤-القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فقيام العلماء وآحاد الأمة بهذا الواجب، يحفظ الأمة من الوقوع في الفتن، ونزول العذاب من الله ﷻ

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٦٧) زيد بن ثابت ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٠٦٩) عن أم سلمة أم المؤمنين ﷺ.

(٣) سورة النور الآية (٣١).

(٤) سورة نوح الآيات (١٠ – ١٢).

فالإنسان ينقذ نفسه على الأقل إذا وقع البلاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢).

٥-لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وعدم الخروج عليهم: إن لزوم جماعة المسلمين، والإمام الشرعي المبايع من المسلمين، واتفقت عليه كلمة الأمة، وعدم الخروج على الجماعة والإمام، عاصم من الوقوع في الفتن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴿١٠٣﴾ ﴾(٣). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (٤).

وورد في الحديث ماذا يفعل الإنسان في آخر الزمان عند وقوع الفتن، قال ﷺ: "قالَ: فالزَم جماعةَ المسلِمينَ، وإمامَهُم، فإن لم يَكُن لَهُم جماعةٌ، ولا إمامٌ؟ فاعتزِلْ تلكَ الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تعضَّ بأصلِ شجرةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ الموتُ، وأنتَ كذلِكَ" (٥). **نسأل الله ﷻ أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يقبضنا إليه غير فاتنين ولا مفتونين.** ❁❁❁

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٦٥).

(٢) سورة الأنعام الآية (٤٤).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

(٤) سورة المائدة الآية (٢).

(٥) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٣٢٢٩) صحيح، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(١٠٥) الابتلاء في حياة المسلم.

١- معنى الابتلاء.

٢- أهمية الابتلاء.

٣- من صور الابتلاء.

٤- من فوائد الابتلاء وثمرته.

٥- موقف المسلم من الابتلاء، وماذا يفعل عند نزوله.

❁❁❁

١-معنى الابتلاء:

معنى الابتلاء، الاختبار والامتحان، والتمحيص والفرز، والتصفية والتهذيب، وفيه معنى المحنة والشدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾(١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٤١).

(٢) سورة الأنفال الآية (٣٧).

فكما أن المعادن حينما تخرج من باطن الأرض تحتاج إلى فرز وتنقية وتصفية من الشوائب، فكذلك البشر يحتاجون إلى فرز في الإيمان، ليتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والمسلم من الكافر، والمطيع من العاصي.

والهدف الرئيس من ذلك التمييز هو معرفة الخبيث من الطيب، وحسن العمل، وهذا كله يتناسب مع طبيعة الدنيا؛ لأنها دار امتحان واختبار وعمل، لا تستقر على حالة واحدة، ولا تدوم لأحد، على خلاف الآخرة فهي دار حساب وجزاء، وثواب وخلود.

فالمسلم كسبيكة الذهب التي تدخل النار فيزال عنها الشوائب فيخرج أشد صفاء وأكثر لمعانا، والمنافق يخرج كعود الكبريت سريع الانطفاء إذا جاءه قليل من الهواء أو الريح.

والابتلاء أخص من البلاء، وهو محنة في أغلب الحالات، والابتلاء والبلاء سنة من سنن الله في الحياة، وفي الإنسان، بل الحياة كلها مبنية على الابتلاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ (٢).

(١) سورة الملك الآية (٢).

(٢) سورة الكهف الآية (٧).

والابتلاء قديم قدم الإنسانية، يأخذ صورة الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل، وسيظل مستمرًا منذ آدم حتى قيام الساعة.

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-: (إن الله ﷻ اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكرامته، ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له، ويخلصها بكير الامتحان؛ كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقي، أذن له في دخول الجنة) (١).

❁❁❁

٢-أهمية الابتلاء:

يدرك المسلم أهمية الابتلاء في حياته الدنيوية، في كونه صورة من صور اختبار العقيدة الإسلامية، والإيمان في قلبه، هل هو صادق في إيمانه وعقيدته، أم أنه يدعي الإيمان بلسانه فقط، وليس له رصيد في القلب، أو عمل الجوارح، فصاحب الإيمان القوي يتحمل البلاء بالصبر والثبات، وولديه اليقين والثقة فيما عند الله من وعود ومبشرات.

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم صـ ٣/ ١٧.

وفي الابتلاء إظهار لحقائق الناس ومعادنهم، فهناك ناس لا يعرف فضلهم إلا في المحن. قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-: «الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه»(١).

وصاحب الإيمان الضعيف يتخلى عن إيمانه وعقيدته عند أول صدمة من البلاء، فهو يريد إيمانا بلا تبعات، أو بلا تكاليف أو مغارم، وهذا يتنافى مع طبيعة الدين الإسلامي ونصوصه القاطعة الواضحة في القرآن والسنة.

ويدرك الناس أهمية العقيدة الصحيحة، والإيمان الصادق، واليقين الجازم، حينما يرون أصحاب الرسالات والدعوات ثابتين على عقيدتهم وإيمانهم، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم، وهم يضحون بأموالهم وأولادهم وأوطانهم وأنفسهم، وما يملكون من متع الحياة الفانية في سبيل الله، فيدفعهم ذلك إلى التفكير، وإعمال العقل، فيكون دافعا لقبولهم العقيدة، والدخول تحت مظلة الإيمان.

ولا بد للحق والخير من أناس يدافعون عنه ضد الشر والباطل، ويحمون الحق من الظلم والبغي والعدوان، وهذه سنة الحياة في الصراع بين الحق والباطل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ

(١) البيان والتبيين للجاحظ صـ ٤٥٣.

ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾(١).

والصراع بين الحق والباطل له تبعات كثيرة من الشدائد والمحن التي تنزل بأهله، لأن الصدام بينهما حتمي لا محالة، فهو سنة كونية، لكنه يأخذ صورا مختلفة ومتنوعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾(٢).

والهمزة في الآية للاستفهام الإنكاري، فهل يأتي الناس للحياة ويعبرونها دون اختبار وامتحان، فالابتلاء وسيلة لتمييز الصفوف، وتمحيص القلوب، فالإسلام يحتاج إلى صفوة مختارة، يحملون رسالته، ويقومون بتبليغها ونشرها، وتحمل تبعاتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (٣).

والابتلاء ينصب بصورة مباشرة على الإيمان وتبعاته، فإن صمد وثبت صاحبه كان من الصادقين، وإن ضعف وتزعزع وتراجع ونكص على عقبيه كان من

(١) سورة الحج الآية (٤٠).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٢).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٤٦).

الكاذبين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾(١).

ففي الابتلاءات يتميز الناس، ويظهر كل واحد على حقيقته، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ ﴾(٢).

قال ابن القيم-رحمه الله-: (أي ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين، حتى يميز أهل الإيمان، من أهل النفاق، كما ميزهم بالمحنة يوم أُحد)(٣).

❁❁❁

٣-صور الابتلاء:

الابتلاء في الحياة يأخذ صور كثيرة، متعددة ومتنوعة، والأنبياء والصحابة والمؤمنون الصادقون تعرضوا لجميع هذه الصور، فقد يكون بالضراء والسراء، والبأساء والنعماء، والضيق والسعة، والكرب والفرج، والمرض والصحة.

---

(١) سورة الحج الآية (١١).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٧٩).

(٣) زاد المعاد، لابن القيم صـ ٣/ ٢٢٠.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٢).

وقد يكون في الدين والإيمان والعقيدة، وقد يكون في نقص من المال وضياعه وفقده، وقد يكون بفقد الأهل والأولاد، وقد يكون بالخوف من البشر، وقد يكون بالجوع والتجويع وقلة ذات اليد، وقد يكون بنقص الثمرات والنعم، فالله يبلو العبد بالنعم، ليختبر شكره، ويبلوه بالنقم ليمتحن صبره.

والابتلاء يأخذ عدة مستويات:

١-ابتلاء عام يصيب كل البشر المؤمن والكافر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (٣). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٣٥).

(٢) سورة النمل الآية (٤٠).

(٣) سورة الإنسان الآية (٢).

(٤) سورة الفجر الآية (١٥-١٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾(١).

٢-ابتلاء خاص بالمؤمن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ (٢).

والمؤمن حياته كلها ابتلاء إلى أن يتوفاه الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (٤).

٣-ابتلاء خاص بخواص الخواص، الأنبياء والصالحون والمؤمنون الصادقون، وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص قلتُ: يا رسولَ اللهَّ ﷺ أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قالَ ﷺ: "الأنبياءُ ثمَّ الصَّالحونَ ثمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ منَ النَّاسِ، يُبتَلى الرَّجلُ على حَسبِ دينِهِ، فإن كانَ في دينِهِ صلابةٌ زيدَ في بلائِهِ،

(١) سورة العنكبوت الآية (٢).

(٢) سورة البروج الآية (٨).

(٣) سورة البقرة الآية (٢١٤).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٤٢).

وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ خُفِّفَ عنهُ، وما يزالُ البلاءُ بالعَبدِ حتَّى يمشيَ على ظَهْرِ الأرضِ ليسَ عليهِ خطيئةٌ" (١).

٤-وقد يكون الابتلاء في حرية الإنسان، فيدفع ثمن إسلامه وإيمانه بفقد حريته، وقد يكون في سمعة الإنسان وكرامته، والنيل من أخلاقه، وقد يكون بالإجبار على ترك الوطن والعمل، والهجرة إلى غيره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٣).

٥-وقد يكون بالتعريض للقتل والتعذيب، كما وقع لبعض الصحابة في مكة، أمثال ياسر وزوجته سمية، وأصحاب الأخدود، وقد يكون بالضرب والتعذيب في صور شتى، كما وقع لعمار بن ياسر، وبلال بن رباح، وخبيب بن عدي.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٥ إسناده صحيح، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) سورة الأنفال الآية (٣٠).

(٣) سورة البقرة الآية (٨٧).

٤-من فوائد الابتلاء وثمرته:

١-الابتلاء سبب لتكفير الذنوب والخطايا والسيئات عن المؤمن، وفي الحديث قال ﷺ: "ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمُؤْمِنَةِ في نفسِهِ وولدِهِ ومالِهِ، حتَّى يلقَى اللهَ وما علَيهِ خطيئةٌ) (١).

٢-وهو سبب لتحصيل الأجر والثواب، ورفع درجة العبد في الآخرة، وفي الحديث قال ﷺ: "ما يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِن شَوْكَةٍ فَما فَوْقَها إلَّا رَفَعَهُ اللهُ بها دَرَجَةً، أوْ حَطَّ عنْه بها خَطِيئَةً"(٢).

وفي رواية أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ "طرقَه وجعٌ فجعلَ يشتكي ويتقلَّبُ على فراشِه فقالت عائشةُ لو صنعَ هذا بعضُنا لوجدتَ عليهِ فقالَ النَّبيُّ ﷺ إنَّ الصَّالحينَ يشدَّدُ عليهم وإنَّهُ لا يصيبُ المؤمنَ نَكبةٌ من شوكةٍ فما فوقَ ذلِك إلَّا حطَّت بِه عنهُ خطيئةٌ ورُفِعت لَه بِها درجةٌ"(٣).

٣-الابتلاء يدفع العبد المسلم إلى حتمية الركون إلى الله، والالتجاء إليه وحده، والاستعانة به، وطلب العون منه، والثبات على الحق، كما حكى القرآن الكريم عن نبي الله لوط-عليه السلام-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٣٩٩) حديث حسن صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٧٢) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٣) الحديث ذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٩٥ رجاله ثقات عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (٢).

فيجعل العبد بشعر بضعفه وعجزه وتقصيره، أمام قوة الله ونعمه عليه التي لا تعد ولا تحصى، فيركن إليه، ويلوذ به، ويحقق العبودية الصادقة في أسمى معانيها، فيتعلق قلبه بما عند الله في الآخرة، وما أعده للمؤمنين الصادقين في جنته.

قال ابن القيم-رحمه الله-في ذكره لحكم الابتلاءات: (استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون ويكرهون، فهم عبيده حقا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء، والنعمة والعافية)(٣).

٤-الابتلاء يقوي عود صاحب العقيدة والإيمان، فيكون أكثر قوة وصلابة، فهو يستخرج القوى الكامنة، والطاقة النائمة، ويفتح منافذ ومسارب للعقل والقلب في الفهم عن الله، فيزيل الغشاوة عن العيون، والران عن القلوب، فالشدائد والمحن تصنع الرجال الأقوياء الأشداء، وتربيهم على الصلابة والصمود، والضربة التي لا تقصم ظهرك تقويك.

---

(١) سورة هود الآية (٨٠).

(٢) سورة الإسراء الآية (٧٤).

(٣) زاد المعاد، ابن القيم، بتحقيق الأرناؤوط، جـ ٣ صـ ٢٢٠.

وقال الله عن إبراهيم بعد امتثاله لأوامر ربه بالسعي لذبح ولده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (١).

كما أنه ينقي المجتمع المسلم من الأدعياء والدخلاء، والمنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾(٢).

٥-الابتلاء يخرج أمراض النفوس، وينتزع أمراض القلوب من أعماقها، ويجعلها أقرب إلى الله ﷻ من قبل الابتلاء، ولذا لما أعجب بعض المسلمين بكثرتهم يوم حنين، وقالوا لن نهزم اليوم من قلة، وظهر شيء من العجب، وغابت عنهم الحقيقة، أنهم ينتصرون بهذا الدين، وإقبالهم على الله مثل يوم بدر والأحزاب، فكانت الهزيمة أولا، حتى فهموا الدرس على حقيقته، ثم جاء النصر بعد الابتلاء الشديد. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الصافات الآية (١٠٦).

(٢) سورة الأنفال الآية (٣٧).

(٣) سورة التوبة الآية (٢٥).

قال ابن القيم-رحمه الله-: "واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولًا مرارة الهزيمة والكسرة، مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم وقوة شوكتهم؛ ليضع رؤوسًا رفعت بالفتح، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله ﷺ واضعًا رأسه، منحنيًا على فرسه، حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعًا لربه، وخضوعًا لعظمته، واستكانة لعزته"(١).

أما يوم أحد فكانت مخالفة بعض الرماة لأوامر النبي ﷺ بترك المكان، والسعي لجمع الغنائم وعرض الدنيا الزائل، فكانت جولة كتبها الله على المسلمين، بعد ما أراهم ما يحبون من بشائر النصر وبوادره. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٢).

قال ابن القيم-رحمه الله-في ذكره للحكم والغايات المحمودة من ابتلاء يوم أُحد: (إنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم

(١) زاد المعاد، صـ ٣/ ٤٧٧.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٥٢).

يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه. كما قال تعالى:﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾(١).

وقال ابن القيم-رحمه الله-: (فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء، لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهَّله لأشرف مراتب الدنيا؛ وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة؛ وهو رؤيته وقربه) (٢).

٦-الابتلاء سبب من أسباب النصر والتمكين، وإعداد الأمة لتقوم برسالتها الكبرى، وتحمل الأمانة العظمى، وإظهار عاقبة الظالمين والمكذبين، فجميع الأنبياء والمرسلين، والأئمة والمصلحين، تعرضوا له، فهناك الخمسة أصحاب العزائم الذين سماهم القرآن (أولو العزم من الرسل) لما شهدوا من شدة البلاء والمحن والنوازل.

والصحابة في مكة تعرضوا للبلاء الشديد، وفي المدينة تعرضوا للبلاء أيضا من خلال الغزوات والمعارك التي خاضوها مع المشركين والكفار، وبعد ذلك كله جاء النصر والتمكين، بدءًا من صلح الحديبية في السنة السابعة من الهجرة.

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، بتحقيق الأرناؤوط، جـ ٣، صـ ٢٢١.

(٢) زاد المعاد، ٤/ ١٩٥.

وعندما سئل الإمام الشافعي: (أيما أفضل للرجل، أن يُمَكَّن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة) (١).

وقد نوه القرآن الكريم بهذا الصنف العظيم من الأنبياء ومن جاهد معهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣).

فلا تمكين بلا تمحيص، ولا تمحيص بلا ابتلاء، فالابتلاء طريق للتمكين والنصر والسيادة، ويمكن أن تقول دعوة ثم ابتلاء ثم صبر ثم نصر وتمكين.

ولقد جاءت آيات الابتلاء في ثلاث مواضع من سورة البقرة، وفي موضعين من سورة آل عمران، وفي موضعين في سورة العنكبوت.

والابتلاء سنة إلهية ماضية إلى قيام الساعة في الأمم والجماعات والأفراد، بسبب مباشر، وبدون سبب، فهو مرتبط بالقضاء والقدر.

---

(١) الفوائد، صـ٢٦٩.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٤٦).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٢٣).

والابتلاء ليس شرا محضا كما هو ظاهر، وإنما في داخله الخير الخفي كما هو ليس ظاهرا، والقرآن يقول، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ (١). وسبحان من جعل منحه في محنه.

والابتلاء له صورة متعددة من الخير والشر، وليس من الشر فقط، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ (٣).

وأكثر الناس ابتلاء الأنبياء، ثم الصالحون، كما جاء في الحديث، ولذلك سمى خمسة من الأنبياء بأنهم أولو العزم من الرسل.

فمن حكمة الله في نزول البلاد، التمحيص والاختبار، وتمييز الخبيث من الطيب. ولا يوصل إلى الراحة إلا بقلة الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بقلة النعيم، فالبلاء لا يقدم أجل العبد ولا يؤخره.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١٦).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٣٥).

(٣) سورة الفجر الآيتان (١٥ – ١٦).

إن قصة طالوت اختصرت قصة الحياة والابتلاء في جملتين اثنتين قصيرتين: (نقاوم ما نحب، ونتحمل ما نكره).

فلو فقه الدعاة والمربون هذه الجملة، وربو عليها الأفراد، لحلت كثير من المشكلات، وعاش الناس في سكينة النفس، وراحة البال.

وفي الحديث قال رسولَ اللهَّ ﷺ: (يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهَّ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهَّ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ) (١).

وقد أورد المفسرون في آيات الابتلاء كلاما راقيا، يجعل المسلم يتقبله في رضا وقبول، وصبر واحتساب، قال البقاعي-رحمه الله-: (يأتي الفرج من الله بعد انقطاع الأسباب ممن سواه، وتتعلق قلوبهم بالله وحده).

وقال ابن جزى-رحمه الله-: (أي لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٠٧) عن أنس بن مالكﷺ.

وقال القرطبي-رحمه الله-: (ابتلوا ليكونوا آية لمن بعدهم، فيعلموا أنهم صبروا حين وضح لهم الحق، وقيل ليكونوا على يقين أنه يُصيبهم فيوطنوا أنفسهم عليه فيكون أبعد لهم من الجزع).

وقال السعدي-رحمه الله-: (الابتلاء لتمييز أهل الخير من أهل الشر، وقال بشيء لأن المحن تمحّص ولا تهلك).

ومعنى إنا لله أي مملوكون له، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فلا اعتراض عليه فيما يفعل فيما يملك.

قال سعيد بن جبير-رحمه الله-: (إنا لله) لم يعط هذه الكلمات نبي غير نبينا، ولو عرفها يعقوب ما قال يا أسفنا على يوسف. وقال: ذكر الآخرة لتهون عليهم مصائب الدنيا.

وقال الألوسي-رحمه الله-: في تفسير قوله (لتبلون) (أخبرهم ليوطنوا أنفسهم على احتماله، ويستعدوا للقائه، ويقابلوه بحسن الصبر والثبات، فالاستعداد للكروب مما يهون الخطب).

وإن تصبروا وتتقوا (فالصبر يتضمن الصبر على تحمل المكروه).

جعل فتنة الناس: (أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة).

وجاء في الأثر: (لو يعلم أهل البلاء ما أعده الله لهم من الجزاء يوم القيامة، لتمنو أن تكون حياتهم كلها بلاء).

ومن نماذج قصص القرآن في الابتلاء: قصة طالوت، أصحاب الكهف، أصحاب الجنتين، أصحاب الأخدود، سحرة فرعون.

❁❁❁

٥-موقف المسلم من الابتلاء:

١-الأصل في حياة المسلم أن لا يعرض نفسه للبلاء ولا يطلبه، ولا يتمناه ولا يتطلع إليه، فإنه لا يدري أين سيكون حاله وقت البلاء والشدة، وإنما يجب على المسلم أن يسأل الله العفو والعافية، والسلامة والأمن، والبعد عن مواقع الفتن والبلاء، لكن إذا نزل به بلاء، أو أصابته محنة، فلا بد من الصبر الجميل، الذي لا جزع ولا ضجر معه، وأن يستسلم لمشيئة الله وقضائه وقدره، فيرضى بالقضاء والقدر، خيره وشره، حلوه ومره، كما أنه يتطلع إلى رحمة الله وثوابه، ورضوانه وجنته.

وفي الحديث أن عبدَ اللهَّ بنُ أبِي أوْفَى، كَتَبَ إلى عُمَرَ بنِ عُبَيْدِ الله، حِينَ خَرَجَ إلى الحَرُورِيَّةِ، بكتاب فَقَرَأْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ: إنَّ رَسولَ اللهَّ ﷺ في بَعْضِ أيَّامِهِ الَّتي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ، انْتَظَرَ حتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ في النَّاسِ فَقَالَ: "أيُّها النَّاسُ، لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وسَلُوا اللهَّ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، واعْلَمُوا أنَّ الجَنَّةَ

تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، ومُجْرِيَ السَّحَابِ، وهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وانْصُرْنَا عليهم"(١).

٢-ينبغي التذكير بأنه إذا كان الابتلاء بعد طاعة وفق الله العبد إليها، وأدى شكرها، فهذا ابتلاء خير ونعمة، لرفع الدرجة والمكانة عند الله، وإذا كان بعد معصية، أو نعمة جحدها، ولم يؤد شكرها، فهو ابتلاء شر ونقمة على صاحبه، كما وقع لقارون وفرعون وهامان وغيرهم من المكذبين الضالين.

والإسلام رخص للمسلم تحت الاضطهاد أن ينطق بكلمة الكفر لرفع الأذى إذا كان فوق طاقته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ (٢).

٣-حياة الأنبياء كلها ابتلاءات، إبراهيم ابتلي بذبح ولده، وبإلقاء قومه له في النار، ونوح ابتلي في زوجته وولده، برفض الإيمان لله، وآدم ابتلي في أولاده، حيث قتل أحدهما الآخر، وكذا يونس ولوط -عليهما السلام-وموسى وهارون ابتلي من فرعون، ومن بني إسرائيل، وعيسى ابتلي من اليهود حيث تآمروا على قتله، بأن وشوا به عند الحاكم الروماني، وسلطوه عليه ليقتله، ويحيى وزكريا ابتليا في

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٠٢٤) عن عبدالله بن أبي أوفى ﷺ.

(٢) سورة النحل الآية (١٠٦).

حياتها بالقتل، وخاتم النبيين كانت حياته كلها ابتلاء، من أول الميلاد حين ولد يتيما، حتى الوفاة، حيث شدد عليه في مرض الموت وسكراته.

والمطلوب من المسلم أن يكون مع الله في كل وقت وحين، ويتعرف إليه في الرخاء بالعبادة والطاعة، حتى يعرفه الله في الشدة بالرعاية والعناية، وبالثبات واليقين، وبالرضا والصبر الجميل. ❁❁❁

ما ينبغي على المسلم أن يفعله عند البلاء:

١-كثرة الحمد والاسترجاع إلى الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (١).

٢-كثرة اللجوء إلى الله بالصلاة ونوافل العبادات، وفي الحديث: "كان رَسولُ اللهِ ﷺإذا حزَبَه أمْرٌ، فَزِعَ إلى الصَّلاةِ"(٢).

٣-كثرة الدعاء، فهو يدفع البلاء أو يخففه و يضعفه، والنبي ﷺ في بدر في العريش كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ويلح على الله بالدعاء في نصرة

(١) سورة البقرة الآيات (١٥٥ – ١٥٧).

(٢) زاد المعاد تخريج شعيب الارنؤط ٤/ ٣٠٤ عن حذيفة بن اليمانﷺ.

الدين والصحابة. وأن يسأل العبد ربه العفو والعافية، والسلامة والأمان عن الرخاء، والثبات والصمود والصبر الجميل عند البلاء.

٤-أن يكون المسلم حذرا في حياته من كل ما يصيبه من خير وشر، ويقدم للخير الشكر، وللبلاء الصبر، ويحاول دفع الابتلاء ولا يستسلم له، وفي الحديث قال ﷺ: "عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له"(١).

فنسأل الله أن لايبتلينا في ديننا، وأن يكشف عنّا ما نزل بنا،

وأن يفرج كروبنا، وأن يرزقنا الشكر على النعماء، والصبر عند البلاء.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه.

(١٠٦) ظاهره الإلحاد

أسبابها، ومظاهرها، وكيفية الوقاية منها؟.

١-معنى الإلحاد.

٢-أسبابه.

٣-مظاهره.

٤-طرق الوقاية، وكيفية العلاج.

❁❁❁

الإلحاد ظاهرة قديمة، وجدت عبر التاريخ، قبل ظهور الإسلام، لكنها تسمت بأسماء أخرى، فسمى القرآن أصحابها بالدهريين، أي ينسبون كل شيء إلى الدهر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٢).

---

(١) سورة الجاثية الآية (٢٤).

(٢) سورة المؤمنون الآية (٣٧).

وظهرت أيضا عبر التاريخ بالمادية، وقال أصحابها نحن لا نؤمن إلا بالمادة، فقالو قولتهم المشهورة: (لا إله والحياة مادة) وأما الغيبيات وما وراء الكون وما بعد الموت، فلا يؤمنون به؛ لأنه غير خاضع للحواس.

وانتشرت هذه الظاهرة في الغرب النصراني بصورة كبيرة جدا، وهذا شيء طبيعي لا غرابة فيه، لأنها نتاج طبيعي للعلمانية، والنفعية، والمكيافيليه، فاهتزت القيم والأخلاق، وتعاليم الدين عند كثير من الناس، فمن أجل ذلك خرج الناس على الدين النصراني خصوصا، و على الأديان على وجه العموم.

والغريب في الموضوع، أن يظهر الإلحاد في المجتمعات المسلمة، بين الشباب المسلم في المجتمعات العربية، التي هي موطن رسالة الاسلام، ومهبط الوحي، رغم اختلاف البيئة الشرقية عن الغربية، والإسلام عن النصرانية.

ومن أجل ذلك أحببت أن أطرح هذا الموضوع للمناقشة، والمداولة، لأنه في غايه الخطورة والأهمية.

ومن الجدير بالذكر أن حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل يقول: "كان النَّاسُ يَسأَلونَ رسولَ الله ﷺعن الخَيرِ، وأسأَلُه عن الشَّرِّ، وعَرَفتُ أنَّ الخَيرَ لن يَسبِقَني، قُلتُ: يا رسولَ الله، أبعدَ هذا الخَيرِ شَرٌّ؟ قال: يا حُذَيفةُ، تَعلَّمْ كِتابَ الله، واتَّبِعْ ما فيه-ثلاثَ مِرارٍ-. قال: قُلتُ: يا رسولَ الله، أبعدَ هذا الخَيرِ شَرٌّ؟ قال:

فِتْنَةٌ وشَرٌّ، قال: قُلتُ: يا رسولَ الله، أبعدَ هذا الشَّرِّ خَيرٌ؟ قال: يا حُذَيفةُ، تَعلَّمْ كِتابَ الله، واتَّبِعْ ما فيه-ثلاثَ مِرار-.

قال: قُلتُ: يا رسولَ الله، أبعدَ هذا الشَّرِّ خَيرٌ؟ قال: هُدْنَةٌ على دَخَنٍ، وجَماعةٌ على أقْذاءٍ، قال: قُلتُ: يا رسولَ الله، الهُدْنَةُ على دَخَنٍ، ما هي؟ قال: لا تَرجِعُ قُلوبُ أقْوامٍ على الذي كانت عليه، قال: قُلتُ: يا رسولَ الله، أبعدَ هذا الخَيرِ شَرٌّ؟ قال: يا حُذَيفةُ، تَعلَّمْ كِتابَ الله، واتَّبِعْ ما فيه-ثلاثَ مِرارٍ-. قال: قُلتُ: يا رسولَ الله، أبعدَ هذا الخَيرِ شَرٌّ؟ قال: فِتْنَةٌ عَمْياءُ صَمَّاءُ، عليها دُعاةٌ على أبْوابِ النَّارِ، وأنتَ أنْ تَموتَ يا حُذَيفةُ، وأنتَ عاضٌّ على جِذْلٍ، خَيرٌ لك مِن أنْ تَتَّبِعَ أحَدًا منهم)(١).

فحينما نرصد هذه الظاهرة، فهي من باب الوقاية، وأخذ الحذر، ومنع الأسباب التي تؤدي إلى ذلك، والوقوف على العوامل التي تحصن الشباب، من الوقوع في الإلحاد، أمام الريح الهوجاء، والعواصف العاتية.

❁❁❁

الإلحاد: يعني إنكار وجود الله، وما يتعلق به من البعث والثواب والعقاب. والملحد: ينسب كل شيء في الحياة من إيجاد وعدم وتطور الى الطبيعة، وليس للذات الإلهية، فليس لله أي دور في الخلق والإيجاد والتدبير والموت وما

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٢٤٦) إسناده حسن، عن حذيفة بن اليمانﷺ .

وراءه، من بعث وثواب وعقاب وجنة ونار. ويترتب على إنكار وجود الله، إنكار وجود الرسل جميعا، والكتب المنزلة على الانبياء السابقين.

❁❁❁

السبب الأول: الغزو الفكري.

السبب الاول الرئيس الذي يقف وراء الالحاد، وتسربه عبر الشقوق والثقوب الى المجتمعات المسلمة، إنما هو الغزو الفكري، فالشباب المسلم هم عمود الأمة الفقري، وطاقاتها المتجددة، التي تحافظ على الدين والعرض والأرض، وهم مستهدفون من الخصوم، لذلك تصدر لهم الأفكار الإلحادية عبر وسائل التواصل الحديثة، وتعرض على أنها حقائق مسلمه، غير قابله للنقاش والحوار.

فتصدر الشبهات التي تنال من ثوابت الدين، مثل القرآن والسنة، والرسالة والرسول ﷺ وثوابت الإسلام، بحيث لا يبقى شيء مقدس عند الشباب، يكون موضع احترام وتقدير، فيتجرؤون على أن يرددوا هذه الشبهات، دون أن يعرفوا هدفها وغايتها، ودون أن تكون لهم الحماية التي تحميهم وتقويهم.

ومن أمثلة الشبهات التي تصدر إلى الشباب، التشكيك في العقيدة الإسلامية، والسخرية من المؤمنين، وازدراء الدين، واعتباره سببا لتخلف وتأخر

المسلمين، في جانب العلوم الحديثة، والتقنيات العصرية، وتضخيم ظاهره الإلحاد، وإبراز الملحدين على أنهم أصحاب فكر وثقافه، وأنهم علماء المستقبل.

❁❁❁

السبب الثاني: ضعف الجانب الإيماني والروحي عند بعض الشباب

فالمسلم يكتسب الإيمان من مصادره، سواء من البيئة التي يعيش فيها الصغيرة، وهي الأسرة، أو الكبيرة وهي المجتمع، أو التعليم الذي يتلقاه في سني دراسته الأولى، فإذا نضبت هذه المصادر وجف ماؤها، انعكست على الشباب في الفراغ الإيماني والروحي، فيكون قابلا لأن يملا بأي شيء يعرض عليه، والقلب الخالي من الإيمان، مثل الجسد، إذا قلت مناعته أو ضعفت، فمن السهل أن يفتك به أي فيروس أو ميكروب، يدمر كل شيء، واذا لم يدفع بالأولاد في سن صغيره إلى حفظ القران، والذهاب إلى المسجد مع الآباء لصلاة الجمعة والجماعة، وحضور دروس العلم والوعظ، فكيف يكون لديهم الثقافة التي تحميهم من الريح العواصف، والأمواج المتلاطمة؟.

❁❁❁

السبب الثالث: العوامل الشخصية والنفسية.

بعض الشباب يعيش معزولا عن المجتمع الذي يعيش فيه، ويصنع لنفسه عالمه الخاص، فلا يغادر غرفته، ولا يترك جهاز التواصل بالنت إلا للنوم أو الطعام أو الحمام.

إنه يعيش في عالم وحده، ويظن أنه غير الناس، وفوق الناس، في عقله وذكائه وعبقريته، ويدفعه هذا الشعور إلى الاعتقاد بالتميز، فيلجأ إلى الإلحاد لإشباع رغبات النفس، والمتعة الشخصية والجنسية، بدون ضوابط أو قيود من الدين أو الشرع، فتتجمع عنده عدة أمراض الشعور بالاختلاف عن العوام والسوقة، والاعتزاز بالنفس، والتكبر، والخروج عن تعاليم الدين، الذي يشعر أنها تقيده وتضبطه حسب تعاليمها، والانسياق وراء الهوى، فيقع في الاضطرابات النفسية والشخصية، التي تدفعه الى الإلحاد في سهوله ويسر، دون أن يشعر أنه متجه إلى هذا الطريق الخطأ.

وأحيانا يتلقى بعضهم صدمات في الحياة، وهو يظن أن الحياة مفروشه بالورود والرياحين، فحينما يصاب بنازلة شديدة، أو فتنة وابتلاء، مع ضعف الإيمان، ولا يفهم طبيعة الدنيا أنها دار بلاء، ولا يستطيع أن يتقبل هذه النازلة بصبر جميل ومثابرة، فتدفعه تلك الحالة إلى التبرم والضيق والقلق الإلحاد، الذي يزيده عذابا فوق العذاب. ❁❁❁

مظاهر الالحاد.

١-الاستهانة بالدين والقيم والأخلاق، وأحكام الشريعة، وكل ما له صلة بتعاليم الإسلام الحنيف.

٢-فصل الدين عن واقع حياة الأفراد والمجتمعات، فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

٣-التقليد للغرب في الملبس والمظهر والطعام والشكل العام، وكذا تقليدهم في كل شيء من الثقافة والعادات والتقاليد الغربية المستوردة.

٤-التهاون في أداء العبادات والشعائر، من الصلاة والصيام والزكاة والحج، والتوبة والذكر والاستغفار وقراءة القرآن.

❁❁❁

٤-طرق الوقاية وكيفية العلاج.

١-الاهتمام بالتربية الإسلامية منذ الصغر في النشأة الأولى من حياة الأولاد. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (١).

١ سورة لقمان الآية (١٣).

٢-الارتباط بالصحبة الصالحة على مسار الحياة، من أصدقاء المسجد والمدرسة والجيران.

٣-التعامل بحذر مع المواقع الغربية والإلحادية المشبوهة. قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (١).

٤-القراءة في الأدلة المادية والشرعية على وجود الله وتوحيده والإيمان به. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٢).

٥-المواظبة على المثبتات الإيمانية المتمثلة في: كثره قراءة القرآن الكريم، وحفظه ومدارسته وتدبره. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٣).

٦-المواظبة على النوافل بعد الفرائض في جميع العبادات كل من جنسها، مثل صلاة النافلة، والصدقة، وصيام التطوع، والعمرة.

---

(١) سورة النور الآية (٦٣).

(٢) سورة يونس الآية (١٠١).

(٣) سورة فاطر الآية (٢٩).

٧-المواظبة على أذكار الصباح والمساء،وذكر الحال، والذكر المطلق، لما لها من أثر كبير في زياده الإيمان وتثبيته. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١).

٨-القراءة في سيرة الصحابة والتابعين والسلف الصالح، ومعايشة أقوالهم وأعمالهم ومسيرة حياتهم. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٢).

٩-حضور مجالس العلم والوعظ والتذكير بالله، والرقائق القلبية التي تجعل القلب موصولا بالخالق.

١٠-الحوارالدائم المستمر بين الأبوين والأولاد الذي يقوم على التفاهم والترابط الأسري. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الروم الآية (١٧).

(٢) سورة الأنعام الآية (٩٠).

(٣) سورة الصافات الآية (١٠٢).

١١-الرد على الشبهات المثارة أمام الشباب بلغة العصر، ومن المتخصصين، وبصورة علمية مقنعة.

١٢-الدعاء المستمر من الأبوين للأولاد، بأن يحفظهم الله من الفتن والشبهات والشهوات. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (٢).

نسأل الله أن يعصمنا من الإلحاد،

وأن يمتعنا بالإيمان الصادق، والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

(١)سورة إبراهيم الآية (٤٠).

(٢) سورة الفرقان الآية (٧٤).

(١٠٧) نعمة الإيمان.

١. تعريف الإيمان.

٢. أهميه الإيمان ومظاهره في حياة المسلم.

٣. الإيمان إكسير الحياة.

٤. نماذج وأمثلة لأصحاب الإيمان الصادق.

❁❁❁

١-تعريف الإيمان:

الإيمان هو إقرار باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، وهو يعني الاعتقاد الجازم بوجود الله، وتوحيده، وعبادته وحده ﷻ.

❁❁❁

٢-أهميه الإيمان ومظاهره في حياة المسلم:

١-الإيمان نعمة كبرى من أجل النعم وأفضلها، ومنة عظمى من أفضل المنن، وهو من أعظم النعم التي تستحق الشكر، ليلا ونهارا، سرا وعلانية، وهو توفيق وهداية من الله لمن شاء من عباده، فمن أعطاه الله ﷻ نعمةالإيمان فقد فاز بخيري الدنيا والآخرة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (٢).

٢-الإيمان ليس ذكاء ألمعيا، ولا مهارة فنية، ولا فطنة عقلية، وإنما هو هبة ومنحة من الله ﷻ حيث كل النعم منه، ومن ثم لا ينبغي للعبد أن يمن على الله ولا على رسوله بها، وإنما يشكره عليها، ويسأله ﷻ أن يثبت الإيمان في قلبه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (٣). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٤).

وفي الحديث قال ﷺ: "إنَّ الإيمانَ ليخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يخلَقُ الثَّوبُ، فسَلُوا اللهَ تعالى أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم) (٥).

٣-الإيمان منحة قدسية، وإشراقة ربانية، ونور يقذفه الله في قلب من أحب من عباده، والمخلصين من أوليائه، فمن أضاء الله قلبه بنور الإيمان، وبيض وجهه

(١) سورة لقمان الآية (٢٠).

(٢) سورة الحجرات الآية (٧).

(٣) سورة آل عمران الآية (٨).

(٤) سورة الحجرات الآية (١٧).

(٥) الحديث ذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥٧ إسناده حسن، عن عبدالله بن عمرو ﷺ.

بحب الطاعة، والمداومة عليها، فقد هداه الله إلى الصراط المستقيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٣).

٤-الإيمان الصادق له حلاوة وطلاوة، لا يتذوقها إلا من عاشها بقلبه، وتشربها فؤاده، فأكسبته راحة البال، وسكينة النفس، وطمأنينة القلب، والرضا عن الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٥).

(٢) سورة الزمر الآية (٢٢).

(٣) الأنعام الآية (١٢٢).

(٤) سورة الفتح الآية (١٨).

وفي الحديث قال ﷺ: "ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا) (١).

٥-الإيمان هو القوه المحركة الضابطة، التي تحول الطاقة الكامنة إلى حركه مثمرة، تظهر في الجوارح في سورة أعمال صالحه، وتظهر في بشاشة الوجه وطلاقته، وفي اللسان في صدق الحديث، والكلمة الذي يصل بها إلى قلوب الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٣).

٦-الإيمان الحق العملي، هو الذي يدفع صاحبه إلى حب الخير للناس، مثل ما يحب لنفسه، الإيمان الذي يتعدى نفعه إلى الآخرين فيؤثر مصلحتهم على مصلحته الشخصية، وفي الحديث قال ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٤) عن العباس بن عبدالمطلب ﷺ.

(٢) سورة الأنفال الآية (٢).

(٣) سورة الحج الآية (٣٥).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٣) عن أنس بن مالك ﷺ.

٧-الإيمان الحق القوي هو الذي يحفظ صاحبه من الوقوع في الدنايا، وسفاسف الأمور، ناهيك عن الذنوب والمعاصي والآثام، ويسلم الناس من شره وشرره، ويحفظ الناس في أموالهم وأعراضهم، ودمائهم.

وفي الحديث قال ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُم مَنِ الْمُسلِمُ؟ مَن سَلِمَ الْمُسلِمونَ مِن لِسانِه ويَدِه، والْمُؤمِنُ مَن أمِنَه الناسُ على أمْوالِهم وأنْفُسِهم، والْمُهاجِرُ مَن هَجَرَ الخَطايا والذُّنوبَ، والْمُجاهِدُ مَن جاهَدَ نَفْسَه في طاعةِ الله) (١).

٨-الإيمان الحق المتين، هو الذي يدفع صاحبه إلى الاستقامة في الحياة، فلا ينحرف ذات اليمين أو ذات الشمال، وإنما يمضي في طريق الله المستقيم، دون مراوغة أو زوغان. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١٦٢١) صحيح عن فضالة بن عبيد ﷺ.

(٢) سورة فصلت الآية (٣٠).

(٣) سورة الأحقاف الآية (١٣).

وفي الحديث عن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ قال: قُلتُ: يا رَسولَ الله، قُلْ لي في الإسْلامِ قَوْلًا لا أسْأَلُ عنْه أحَدًا بَعْدَكَ، قالَ: "قُلْ: آمَنْتُ باللهِ، ثم اسْتَقِمْ"(١).

٩-إن قضيه الإيمان الحق بالله وتوحيده وتنزيهه عن الشبيه والمثيل، والعمل بكتابه، قضية مصيرية، لأنها تتعلق بسعادة الإنسان وشقائه للأبد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾(٢).

وفي الحديث قال ﷺ: "يُنادِي مُنادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبَدًا فَذلكَ قَوْلُهُ ﷻ: {وَنُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[الأعراف: ٤٣])(٣). وفي الحديث قال ﷺ: "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجَنَّةَ حتى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أُنبِّئُكم بما يُثْبِتُ ذلك لكم: أَفشوا السلامَ بينكم"(٤).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٨) عن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ.

(٢) سورة محمد الآية (١٤).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٣٧) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٥١٠) اختلفوا فيه، رجاله ثقات، غير مولى الزبير، وهو مجهول، عن الزبير بن العوام ﷺ.

١٠-الإيمان الحق إذا استقر في القلب، وامتلأ وفاض على جوانبه، يشعر الإنسان بلذاته وحلاوته في قلبه، ونفسه، وروحه، وعقله، وجسده، وينعكس على جوارحه في سلوكه، ويظهر أثره في وجهه، وأصبح مؤمنا حقا، يتذوق حلاوة الإيمان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (١).

وفي الحديث قال ﷺ: "ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ، مَن رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا) (٢).

١١-الإيمان الحق هو الذي يدفع صاحبه إلى تقديم ما يحبّه الله ﷻ وما يحبه الرسول ﷺ على أهواء وشهوات النفس، بذْل كل ما يملكه من الغالي والنفيس في سبيل الله ﷻ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴿١١١﴾ ﴾ (٣).

❁❁❁

(١) سورة الأنفال الآية (٢).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٤) عن العباس بن عبد المطلب ﷺ.

(٣) سورة التوبة الآية (١١١).

٣-الإيمان أساس السعادة وإكسير الحياة.

كل الناس ينشدون السعادة والحياة الكريمة، التي تجعله يشعر بإنسانيته وتحقيق رسالته في الحياة، والطريق إلى ذلك هو الإيمان الحق:(إن كنا نريد الدنيا فطريقها الإيمان، وإن كنا نريد الآخرة فطريقها الإيمان، وإن كنا نريدهما معا فطريقهما الإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ (١).

إن كنا نريد السعادة الشخصية الحقيقية، فلا سعادة بغير سكينه النفس، ولا سكينه بغير إيمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ (٢).

إن كنا نريد إصلاح أنفسنا وأولادنا، فلا إصلاح بغير تغيير النفس، ولا تغيير إلا بتصميم، ولا تصميم إلا بالإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (٣).

---

(١) سورة النساء الآية (١٣٤).

(٢) سورة الفتح الآية (٤).

(٣) سورة الرعد الآية (١١).

فالإيمان هو أسلوب حياة متكامل للفرد والأسرة، إنه ضياء ثاقب، ينفذ إلى الفكر، والعاطفة، والإرادة، في دنيا الفرد، فيجري في كيانه عصارة الحياة، وينشئه من جديد، ويحوله من مخلوق تافه إلى إنسان له رسالة وهدف، ومن حيوان أو سبع إلى كائن أشبه بالملاك.

الإيمان هو قوة الخلق، وخلق القوة، وروح الحياة، وحياة الروح، وسر العالم، وعالم الأسرار، وجمال الدنيا ودنيا الجمال، ونور الطريق، وطريق النور.

الإيمان هو واحة المسافر، ونجم الملاح، ودليل الحيران، وعدة المحارب، ورفيق الغريب، وأنيس المستوحش، ولجام القوي، وقوة الضعيف.

الإيمان مصنع البطولات، ومحقق المعجزات، ومفتاح المغاليق، ومنارة الهدى في كل طريق)(١).

٤-نماذج وأمثلة لأصحاب الإيمان قديما وحديثا.

قصة سحرة فرعون، قصة أصحاب الأخدود، قصة أبي بكر الصديق، قصة بلال بن رباح، قصة عمر المختار، وغيرها من أصحاب الإيمان عبر التاريخ.

❁❁❁

(١) انظر الإيمان والحياة بتصرف صـ ٣٥٧. وما بعدها.

(١٠٨) الاستسلام لأمر الله.

١-معنى الاستسلام.

٢-كيف يتم الاستسلام وصوره؟.

٣-أثار الاستسلام على المسلم.

❁❁❁

١-معنى الاستسلام.

الانقياد والخضوع والتسليم، والرضا والقبول، والطاعة لأمر الله تعالى.

❁❁❁

٢-كيف يتم الاستسلام وصوره؟.

الكون كله أعلن خضوعه واستسلامه لله، وهو من الجمادات، فكيف بالإنسان؟ وهو مزود بالعقل والتفكير والاختيار، فعليه أن يتعلم من الكون وما فيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (٢).

---

(١) سورة آل عمران الآية (٨٣).

(٢) سورة فصلت الآية (١١).

وفي غزوة بدر الكبرى كان الكون يقاتل مع المؤمنين المسبحين، لأنهم انسجموا مع الكون في التسبيح والذكر، فالسماء، والشمس، والمطر، والأرض، والملائكة، الجميع كانوا مع المؤمنين في معركتهم الكبرى بين الإسلام والكفر، وبين التوحيد والشرك.

فالكون كان يقاتل مع موسى، حينما يسر الله له عبور البحر، وأغرق فرعون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ (١).

والكون كان يتفاعل مع داود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٢).

والمطلوب من المسلم أن يعلن استسلامه لله تعالى، مثلما يفعل الإنسان الذي وقع في الأسر، فيعلن استسلامه التام دون مقاومة أو اعتراض، فلابدَّ من استسلام الدين لله، وإسلام النية، وإسلام القلب، وإسلام الوجه، وإسلام الجوارح، والاستسلام لقضاء الله وقدره. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الشعراء الآية (٦٣).

(٢) سورة سبأ الآية (١٠).

(٣) سورة النساء الآية (١٢٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٥).

فالاستسلام مطلوب في كل ما سبق، وليس الاستسلام لأمر الله في قضائه وقدره يعني عدم السعي إلى تغييره، بل المطلوب الرضا به والتسليم له، مع الأخذ بجميع الأسباب التي تغيير الواقع، أو الظروف الصعبة التي تنزل بالإنسان.

فالقضاء والقدر مقدر على الإنسان من الأزل، خاصة في البلاء،

---

(١) سورة لقمان الآية (٢٢).

(٢) سورة الصافات الآية (١٠٣).

(٣) سورة النساء الآية (٦٥).

(٤)سورة الحجرات الآية (١٤).

(٥) سورة الأنعام الآية (١٦٢–١٦٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١).

فالبلاء والمكروه مكتوب ومقدور من الأزل في اللوح المحفوظ. وعلى المسلم أن يرضى به، ويستسلم له عند وقوعه، ويسعى إلى تغييره، فالمؤمن الضعيف يحتج بالقضاء والقدر، أما المؤمن القوي فهو قضاء الله الذي لا يرد، وقدره الغالب، قال أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة ∴ فلابدَّ أن يستجيب القدر

ولابدَّ لليل أن ينجلي ∴ ولابدَّ للقيد أن ينكسر

فالله لا يجب عليه شيء، إلا ما أوجبه هو على نفسه، ومعنى أن يستجيب القدر، أن يتحرك الإنسان للأخذ بالأسباب، بكل ما أوتى من علم وقوة، فإذا نجح في محاولته فقد استجاب الله له، وحقق له ما يريد.

وليس المعنى كما يفهم بعض الناس من ظاهر البيت، أن الناس يفرضون إرادتهم على قدر الله، وإنما يأخذون بجميع الأسباب، ويتركون نتائج جهدهم على مسبب الأسباب، ومقدر الأقدار، ومسير الأمور.

❁❁❁

(١) سورة الحديد الآية (٢٢).

٣-أثار الاستسلام لله على المسلم في الحياة:

١-يمنحه الله الهداية والتوفيق والرضا والسكينة ويجعله الله مطمئن القلب، هادئ النفس، مرتاح البال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (١).

٢-يمنحه الله الأجر والثواب العظيم والجزيل في الآخرة، على نعمة الرضا والتسليم والاستسلام لقضائه وقدره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٢).

٣-يفتح الله له أبوابا من العلم والفهم والفقه، التي تفتح له مغاليق الأمور، فيكتب الله له النجاح في الحياة، ويهيئ له أسباب النصر الإلهي من الله ﷻ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (٤).

❁❁❁

(١) سورة التغابن الآية (١١).

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٦-١٥٧).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٢٣).

(٤) سورة الأنفال الآية (١٧).

(١٠٩) رمضان شهر التغيير.

١. رمضان فرصة مواتية للتغير.

٢. خصائص التغيير المنشود.

٣. وسائل تعين على التغيير.

❁❁❁

(١) رمضان فرصة مواتية للتغير:

يستطيع المسلم أن يجعل من شهر رمضان شهرا لتغيير نفسه وإصلاحها، وإصلاح من حوله من أفراد أسرته، وعائلته وجيرانه، حيث إن الأجواء الإيمانية تسمح بذلك، والفرصة مواتية وسانحة، والعاقل من يغتنم الفرصة، ويستغل حركة الريح، التي توافق اتجاه السفينة، فيضبط الحركة، ويضاعف السرعة.

كما أن البيئة الإيمانية المحيطة بالإنسان مواتية ومناسبة للتغيير، وهي التي قال الرسول ﷺ عنها: "إذا جاءَ رَمَضانُ فُتِّحَتْ أبْوابُ الجَنَّةِ، وغُلِّقَتْ أبْوابُ النَّارِ، وصُفِّدَتِ الشَّياطِينُ)(١).

ويضاف إلى ما سبق أن أبواب الخير ينادى عنها من قبل الله، وفي الحديث قال ﷺ: "إذا كان أولُ ليلةٍ من شهرِ رمضانَ: صُفِّدَتِ الشياطينُ ومَردَةُ الجنِّ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النيرانِ فلم يُفتَحْ منها بابٌ، وفُتِّحَتْ أبوابُ الجنةِ فلم يُغلَقْ منها

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بابٌ، وينادي مُنادٍ يا باغِيَ الخيرِ أقبِلْ، ويا باغِيَ الشَّرِّ أقصِرْ ولله عُتَقاءُ من النارِ، وذلك كلَّ ليلةٍ "(١).

إذا هَبَّتْ رياحُكَ فاغتنمْها ∴ فعُقْبى كلِّ خافقةٍ سكونُ

وإن دَرَّتْ نياقُكَ فاحتلبْها ∴ فما تدري الفَصيلُ لمن يكونُ

ولا تغفلْ عن الإحسانِ فيها ∴ فما تدري السكونُ متى يكونُ.

والذي يريد الإنسان أن يصلحه إنما هو نفسه أولا، حتى تصبح نفسا مطمئنة، وكذلك قلبه حتى يصبح قلبا سليما، ويحرص على أن يزيد من إيمانه إلى أعلى مستوى، وأن يتخذ من الأعمال ما يكون سببا في محو ما مضى من سيئاته، ثم هو يحرص على إصلاح زوجته وأولاده ومن يعول، ليكونوا لبنات صالحةً في بناء المجتمع عملا بما في القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ (٢).

وينطلق الفرد من النفس إلى الأهل، ثم إلى البيئة المحيطةبه من الجيران، ثم المجتمع الذي يعيش فيه، لأن رسالة المسلم في الحياة لا تقتصر على نفسه، وإنما

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٦٨٢) حديث غريب، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) سورة التحريم الآية (٦).

تتعدى إلى الآخرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١).

والإصلاح والتغيير جهد بشري عميق، يأخذ فترة طويلة من الوقت والزمن، دافعه النية الخالصة، والإيمان القوي، والفريضة الشرعية، والضروة الاجتماعية.

كما أن تغيير النفس والروح، وتطوير العقل والفكر، وإصلاح الباطن والجوهر، لا يعد ذلك تغييرا سهلا أو يسيرا، إنما لابد له من علم ودراسة، وجهد وجهاد، وصبر ومثابرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴿١١﴾ ﴾ (٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(٣).

وفي الحديث قال ﷺ: "أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القَلْبُ"(٤).

❁❁❁

(١) سورة الحج الآية (٧٧).

(٢) سورة الرعد الآية (١١).

(٣) سورة آل عمران الآية (٢٠٠).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٢) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) خصائص التغيير المنشود:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾﴾ (١).

إنها تغيير الله للمجتمعات سنة عامة تنطبق على كل البشر، فتنكير كلمة قوم يدل على العموم، وهي سنة اجتماعية أكثر منها سنة فردية، فهي عامة وخاصة، وهي سنة متسعة تأخذ وقتها من الزمن، فكلمة حتى تفيد الغاية سلبا وإيجابا.

إن تغيير الأفكار يترتب عليه تغيير السلوك والتصرفات، ومن هنا أهمية التركيز على معرفة نفسية الأفراد والأمم والشعوب والتاريخ، فقبل أن يأتي الاحتلال إلى بلاد المسلمين درس نفسية الشعوب، وكل شيء يتعلق بتاريخها وحضارتها.

والتغيير الحقيقي يحتاج إلى عقيدة صحيحة نقية، قوية في نفوس أصحابها، ونواة صلبة مؤثرة تهيئ الأرض والمناخ، لتعمل على بقاء العقيدة نابضة في صميم المجتمع، ولابدَّ من فترة زمنية كافية، حتى يكتمل الإعداد والبناء، وفهم الخطاب الشرعي، وتنزيله على الواقع بعد فهمه واستيعابه، وكيفية التعامل معه. وكذلك أي تغيير يتطلب إرادة قوية للعمل، وشحذ القوى الروحية والنفسية، والابداع في القوى العقلية والفكرية، من أجل امتلاك رصيد كبير في التغيير المنشود.

---

(١) سورة الرعد الآية (١١).

والتغيير الذي ينشده الإسلام، إنما يقوم على عدة عناصر وأركان، تظهر ملامحها في ما يأتي:

١-**تغيير جذري لا فرعي**: فهو تغيير يتعلق بالجذور النابتة تحت الارض، وذلك بالبحث عن علل النفس وأمراضها وأدوائها وشهواتها وغرائزها، فيتم إصلاح الخلل وتعاطي الدواء، فأنت لا تعالج مظهر المرض، وإنما تعالج أسبابه الحقيقية التي تسببت فيه، ولا يكون ذلك إلا بالمكاشفة والمصارحة حتى يمكن معرفة أصل الداء وسببه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ (١).

وكلما كان العلاج مبكرا كانت النتائج أفضل، وكذلك كلما أخذ الإنسان باسباب الوقاية كلما قلت العلل والأمراض أو تلاشت.

ومن ثم فالتغيير الحقيقي هو التغيير الجذري، الذي يكتب له القبول والنجاح، ويحقق الهدف المنشود والثمرة المرجوة.

٢-**تغيير عميق لا سطحي**: لأنه يركز على يقظة الإيمان في القلب، وإحياء الروح، وسمو النفس، وصحوة المشاعر، ويقظة الوجدان، وهذا لا يكون إلا بالإرادة القوية، والعزيمة الفتية، والعقول الذكية.

إن صيام ثلاثين نهارا من رمضان متوالية، وقيام ثلاثين ليلة متوالية، والمعايشة مع القرآن ليلا ونهارا، كل ذلك يترك بصمة قوية في العقل والقلب

(١) سورة القيامة الآيتان (١٤-١٥).

والنفس والروح، فيكون التغيير الحقيقي الذي ينشده الإسلام، ويسعي الله المصلحون.

٣-**تغيير متدرج لا فوري**: يقوم على أساس العقيدة الصحيحة، والعبادة السليمة، والخلق الفاضل، والزمن جزء من العلاج، وترسيخ العقيدة في القلب يأخذ وقتا طويلا، وكذلك حب العبادة وإدمانها، وتقوية الأخلاق وتمتينها.

٤-تغيير مستمر لا وقتي: فالإصلاح لا يتوقف عند سن معين، أو بعد سنوات معدوداة، وإنما هو مستمر حتى آخر لحظة في عمر الإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ (١).

ورمضان ما هو إلا فترة تدريب لقطع النفس عن مألوف العادات، حتى يتخلى عنها الإنسان نهائيا، وكلما ضعفت الهمة جاء رمضان القادم فيجدد الإنسان نشاطه، وهكذا يستمر شهر رمضان يتجدد مع حياة الإنسان.

ومن أدعية النبي أنه كانَ إذا دخلَ رجبٌ قال "اللَّهمَّ بارِكْ لنا في رجبٍ و شعبانَ و بلِغْنا رمضانَ"(٢).

٥-**تغيير شامل وليس محدودا**: فهو يشمل الإنسان طولا وعرضا وعمقا، يشمل إصلاح النفس والقلب والروح والعقل والفكر والبدن وأخلاق وسلوك.

---

(١) سورة الحجر الآية (٩٩).

(٢) الحديث أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير (٦٦٦٠) ضعيف عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

يشمل تغيير الإنسان في كل مراحل حياته وهو طفل، وبالغ وشاب وشيخ وعجوز، يشمل تغيير الذكر والانثى، ويشمل جميع طبقات الحياة من الغني والفقير، والقوي والضعيف، والوزير والفقير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾ (٢).

إنه تغيير شامل ليس مقصورا على جانب واحد، ليحدث التوازن عند الإنسان، فلا يعتني بجانب على حساب جانب آخر فيقع الإنسان في تضخم جانب، وضمور في جوانب أخرى.

إنه تغيير يشمل داخل الإنسان وخارجه، لأن أساس التغيير الحقيقي هو أن يبدأ من داخل الإنسان ومن نفسه التي بين جنبيه.

❁❁❁

(٣) وسائل تعين على التغيـــير.

ولكي ينجح التغيير لا بد من الإستعداد النفسي والعقلي والبدني، وتهيئة النفس للقيام به، والاستمرار عليه، وهذا يتطلب ما يأتي:

---

(١) سورة التحريم الآية (٦).

(٢) سورة النحل الآية (٩٧).

١-استعداد يتعلق بالادراك، ومحله العقل، فلا بد أن تكون للعقل قناعة بصحة ما سيقوم به من تغيير وإصلاح.

٢-استعداد يتعلق بالعاطفة، ومحل ذلك القلب، وذلك يكون بإثارة البواعث القلبية، وتحريكها نحو الهدف المنشود، فتلامس القناعات جانب الوجدان، فيقتنع العقل ويستجيب القلب.

٣-استعداد يتعلق بالإرادة، ومحل ذلك الجوارح فلا بد من حمل الجوارح على العمل والطاعة حتى تألفها وتحبها.

ولذلك كان الصيام فرض على الجميع باستثناء أصحاب الأعذار، وهذه هي الصورة الأخيرة التي تتمثل في التطبيق العملي للتغيير.

فإذا اقتنع العقل، واستجاب القلب، عملت الجوارح، وفي الحديث قال ﷺ: "اضمَنوا لي ستًّا أضمَنْ لكم الجنَّةَ: اصدُقوا إذا حدَّثْتُم وأوفوا إذا وعَدْتُم وأدُّوا إذا ائتُمِنْتُم واحفَظوا فُروجَكم وغُضُّوا أبصارَكم وكُفُّوا أيديَكم"(١).

وكلها من أعمال الجوارح وهي التطبيق العملي لرسالة الإسلام.

وإذا اراد الفرد المسلم أن يغير نفسه وقلبه وروحه وعقله في شهر رمضان تغييرا حقيقيا ينطبق عليه ما سبق، فينبغي أن يأخذ نفسه بالآتي حتى تستقيم النفس علي طريق الخير والنجاح.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٢٧١) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

١-أن يتخذ الإنسان قرارا قويا من أول ليلة في رمضان، باستحضار النية وتجديدها طوال شهر رمضان، واستشعار الهمة العالية، والعزيمة القوية، بالمحافظة على الصيام والقيام، وقراءة القرآن.

٢-الخروج عن المألوف للنفس، بقطعها عن مألوف العادات، حتى يتحرر الإنسان من القيود التي تكبله وتشده إلى الوراء، ومن جواذب الأرض، التي تجعله يركن إليها ولا ينتفض منها.

فبدلا من أن يأكل ثلاث وجبات أصبح بأكل وجبتين، وبدلا من النوم ثماني ساعات، أصبح ينام أربع ساعات، وبدلا من النوم حتى الفجر، أصح يستيقظ قبله بوقت كاف للسحور والتهجد.

٣-أن يتعرف على الطرق الصحيحة في التدرج والتغيير، بأن يكتب أهدافه التي يريد تحقيقها في ورقة، وقراءتها يوميا، وأن تكون قليلة، وفي الاستطاعة، ويتمكن من تحقيقها، ويمكن قياسها بين الحين والآخر، حتى يعرف كم حقق من النجاح في نهاية شهر رمضان.

٤-الاستعانة بالله ﷻ بالدعاء في الأوقات الفاضلة، فطلب العون والتوفيق يكون من الله ﷻ وحده، فلا تنفع الجهود البشرية ما لم تكن محاطة بتوفيق الله ورعايته، وجاءت آية الدعاء في وسط آيات الصيام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾(١).

وذلك حتى يستقر في عقل المسلم وقلبه أن الذي يعينه على الطاعة إنما هو طلب العون من الله ﷻ بالدعاء.

إذا لم يكون عون من الله للفتى ∴ فأول ما يجني عليه اجتهاده

وفي الحديث قال ﷺ: "إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ"(٢).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: "استعن باللهِ ولا تعجِزْ فإن أصابك أمرٌ فقل: قدر اللهُ وما شاء فعل"(٣).

ومن أدعية النبي ﷺ: يا معاذُ أوصيك ألَّا تدَعَنَّ في دبُرِ كلِّ صلاةٍ أنْ تقولَ: "اللَّهمَّ أعِنِّي على ذِكرِك وشُكرِك وحُسنِ عبادتِك) (٤).

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على تزكية نفوسنا، وإصلاح قلوبنا، ونقاء سرائرنا، وأن يزيد إيماننا بربنا.

❁❁❁

(١) سورة البقرة الآية (١٨٦).

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٥١٦) صحيح، عن عبد الله بن عباس ﷺ.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٧/ ٤٥٩ حديث صحيح.

(٤) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٢٠٢٠) معاذ بن جبل ﷺ.

(١١٠) فضل قراءة القرآن، وحفظه، ومدارسته، والعمل به.

١. فضل قراءة القرآن الكريم.

٢. فضل حفظ القرآن الكريم.

٣. فضل مدارسة القرآن الكريم.

٤. فضل العمل بالقرآن الكريم.

❁❁❁

١. فضل قراءة القرآن الكريم:

التجارة الرابحة مع الله بقراءة القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾(١).

فمن فضائل التجارة مع الله، أنها تجارة رابحة لا محالة، ولن تكون كذلك إلا على الطريقة التي حددها الله في الآية السابقة، وأعظمها ما بدأ الله به من تلاوة كتابه ومدارسته، وإقامة الصلاة، والإنفاق سرا وعلانية، وتلك هي التجارة الرابحة، التي لن تخسر أبدا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾(٢).

---

(١) سورة فاطر الآية (٢٩).

(٢) سورة البقرة الآية (١٢١).

وكان جبريلعليه السلام يُدارس القرآن للنّبي ﷺ في كل سنةٍ مرة واحدة في رمضان، إلا في السنة التي توفّيَ فيها النبي ﷺ فقد عارضه القرآن مرّتين، وذلك تثبيتاً وتأكيداً له.

-والقرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، وفي الحديث قال رسولُ اللهِ ﷺ: "اقْرَؤوا القرآنَ، فإنه يأتي يومَ القيامةِ شفيعًا لأصحابه"(١).

إن الذي ينقذ الإنسان من أهوال يوم القيامة، هو أن يكون له شفيع يعرفه، فمن عرف القرآن في الدنيا، عرفه القرآن يوم القيامة.

-ورغب النبي ﷺ في المنافسة في قراءة القرآن، ففي الحديث قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لا حسدَ إلا في اثنتَينِ: رجلٌ علَّمه اللهُ القرآنَ فهو يَتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، فسمِعه جارٌ له فقال: ليتَني أوتيتُ مِثلَ ما أوتيَ فلانٌ، فعمِلتُ مِثلَ ما يَعمَلُ، ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا فهو يُهلِكُه في الحقِّ، فقال رجلٌ: ليتَني أوتيتُ مِثلَ ما أوتيَ فلانٌ، فعمِلتَ مِثلَ ما يَعمَلُ"(٢).

والحسد هنا بمعنى الغبطة، فيتمنى المسلم أن يكون له مثل أخيه صاحب النعمة، وأن لا يزيلها الله ﷻ منه، فهو يثاب على نيته الصالحة، وإن تعذر تطبيق ذلك لأمر خارج عن إرادته.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهليرضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

-وقراءة الحرف من القرآن الكريم بعشر حسنات، وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "من قرأ حرفًا من كتابِ الله فله به حسنةٌ والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ {ألم} حرفٌ ولكن ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ"(١).

إن الله جواد كريم في عطائه، فلا يعطي الثواب على الجزء والسورة والصفحة، والآية، وإنما يحاسب على أقل شيء، وهو الحرف الواحد، ولا يعطي عليه حسنة واحدة بل عشر حسنات.

-وقد ورد الحثِّ على قراءة سور وآيات مخصوصة، ففي فضل سورة الفاتحة أن رسولُ اللهَّ ﷺ قال لأَبي سعيدٍ رافعِ بنِ المُعلَّى رضي الله عنه: "أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَم سُورةٍ في الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تخْرُج مِنَ المَسْجِدَ؟ فأَخذَ بيدِي، فَلَمَّا أَردْنَا أَنْ نَخْرُج قُلْتُ: يا رسُولَ اللهَّ إِنَّكَ قُلْتَ لأُعَلِّمنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في الْقُرْآنِ؟ قال: "الحَمْدُ للهَّ رَبِّ العَالمِينَ، هِي السَّبْعُ المَثَاني، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذي أُوتِيتُهُ "(٢).

وفي فضل قراءة سورة البقرة قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِر، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِن الْبيْتِ الَّذي تُقْرأُ فِيهِ سُورةُ الْبقَرةِ "(٣).

(١) الحديث ذكره المنذري الترغيب والترهيب ٢/ ٢٩٦ إسناده صحيح أو حسن، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري(٤٤٧٤) عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

-وفي فضل آية الكرسي قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "يا أَبا الْمُنذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيةٍ مِن كتاب اللهَّ معكَ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: اللهَّ لا إِلهَ إِلاَّ هُو الحَيُّ الْقَيُّومُ، فَضَربَ في صَدْري وَقَال: "لِيهْنكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنذِرِ "(١)

-وفي فضل سورة الكهف قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "مَنْ حَفِظ عَشْرَ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ سورةِ الكهفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ. وفي رِوايةٍ: مِنْ آخِرِ سورةِ الكهفِ: (٢).

-وفي فضل سورة الصمد قال رسولُ اللهَّ ﷺ في (قُلْ هُوَ اللهَّ أَحَدٌ): "والَّذِي نَفْسي بِيدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ "(٣)

-وفي فضل المعوذتين قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "أَلَمْ تَر آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثلُهُن قَطُّ؟ قُلْ أَعُوذُ برَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ "(٤).

فهناك سور خاصة، كان يحرص النبي ﷺ على قراءتها كل يوم، وهناك سور لها فضائل دنيوية وأخروية، فالمسلم لا يحرم نفسه من هذا الخير، بمداومة قراءة هذه السور والآيات يوميا، خاصة في أذكار الصباح والمساء، وكفى أنها تحفظ الإنسان من شياطين الجن والإنس في الدنيا، وترفع الإنسان عند الله منزلة ودرجة في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨١٠) عن أبي بن كعب ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٠٩) عن أبي الدرداء ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٦٤٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨١٤) عن عقبة بن عامر ﷺ.

٢. **فضل حفظ القرآن الكريم:**

-خير الناس من تعلم القرآن وعلمه، وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه"(١).

فخير الناس على الإطلاق من نذر وقته لتعلم القرآن الكريم، بحفظه وفهمه وتعليمه للناس، فهي رسالة الأنبياء والمرسلين في دلالة الناس على الله؛ لتعريفهم به من خلال كتاب الله ﷻ.

-وقد بين النبي ﷺ عظم الأجر لحملة القرآن الكريم، سواء كله أو بعضه، ففي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "يُؤتَى بالقرآن يومَ القيامةِ وأهلِه، الذين كانوا يعمَلون به، تقدُمُهم سورةُ البقرةِ وآلُ عمرانَ تحاجان عن صاحبهما(٢).

إن أهل القرآن سيكونون زمرا يوم القيامة، مع بعضهم البعض، واللواء الذي يتقدمهم، إنما هو سورة البقرة وآل عمران.

-وقد بين النبي ﷺ أيضا ثواب الماهر بالقرآن، وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "يُقَالُ لِصاحبِ الْقُرَآنِ: اقْرأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا، فَإنَّ منْزِلَتَكَ عِنْد آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا "(٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠٢٧) عن عثمان بن عفان ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٠٥) عن النواس بن سمعان ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام التِرْمذي(٢٩١٤) وقال حديث حسن صحيح، عن عبد الله بن عمرو ﷺ.

وفي الحديث أيضا قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "مَثَلُ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ وهو حافِظٌ له، مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، ومَثَلُ الذي يَقْرَأُ وهو يَتَعاهَدُهُ، وهو عليه شَدِيدٌ؛ فَلَهُ أجْرانِ"(١).

فحفظة القرآن والمجيدون لتلاوته درجات، فأعلاهم المتقن الماهر بالقرآن، فهو كذلك أعلى الناس درجة في الجنة، مع السفرة الكرام البررة من الملائكة يوم القيامة، فالجزاء من جنس العمل.

-وقد بين النبي ﷺ خطورة من ليس معه شيء من القرآن، ففي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "إنَّ الَّذي لَيس في جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرآنِ كالبيتِ الخَرِبِ"(٢).

إن البيت الخرب هو الذي تعيش فيه شياطين الجن، والحيوانات الضالة، وكلها أمور منفرة، فمن يرضى لنفسه أن يعيش معها، إنه الشخص الذي ليس في جوفه شيء من القرآن، فهو يعيش في مستنقع من الحشرات المنفرة.

❁❁❁

٣. فضل مدارسة القرآن الكريم:

-استحباب الاجتماع على قراءة القرآن ومدارسته؛ لتنزل السكينة، وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيوتِ اللهَّ يَتْلُونَ كتاب

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٩٣٧) عن عائشة ﵂.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٩١٣) وقال حديث حسن صحيح، عن عبدالله بن عباس ﵄.

اللهَّ، ويتَدَارسُونَه بيْنَهُم، إلاَّ نَزَلتْ علَيهم السَّكِينَة، وغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَة، وَحَفَّتْهُم الملائِكَةُ، وذَكَرهُمْ اللهَّ فِيمنْ عِنده "(١).

وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "كان رجلٌ يقرأ سورةَ الكهفِ، وإلى جانبه حصانٌ مربوطٌ بشطَنَينِ، فتغشَّته سحابةٌ، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسُه ينفرُ، فلما أصبح أتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال: "تلك السكينةُ تنزَّلت بالقرآنِ) (٢).

إن تلاوة القرآن ومدارسته لها ثمرات عظيمة في الدنيا قبل الآخرة، فيكفي أن السكينة تتنزل من السماء عليهم، والرحمة تعمهم، والملائكة تحفظهم، ويذكرهم الله فيمن عنده.

-وقد بين النبي ﷺ استحباب تحسين الصَّوت بالقرآن وطلب القراءة من حَسَن الصوت والاستماع لها، وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ: "مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ "(٣). معنى "أَذِنَ اللهُ ": أي اسْتَمَعَ، وَهُوَ إشَارَةٌ إلى الرِّضَى وَالقُبُولِ".-وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ لأبي موسى الأشْعَرِيِّ ﷺ: "لَقَدْ أُوتِيتُ مِزْمَارَاً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُد "(٤). وفي روايةٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لهُ:"لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ البارحَةَ ".

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠١١) عن البراء بن عازب ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٤٨٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠٤٨) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

-وعَنِ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ ﷺ قالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ فِي العِشَاءِ بِالتِينِ والزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدَاً أَحْسَنَ صَوْتَاً مِنْهُ. (١).

-وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ:"إنَّ من أحسنِ النَّاسِ صوتًا بالقرآنِ الَّذي إذا سمعتُموهُ يقرأُ حسِبتُموهُ يخشى اللهَّ"(٢).

-وفي الحديث قال رسولُ اللهَّ ﷺ:"ليس منَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآنِ قال: فقلتُ لابنِ أبِي مُلَيْكَةَ: يا أبا محمدٍ! أرأيتَ إنْ لم يكنْ حسنَ الصوتِ؟ قال: يُحَسِّنُه ما استطاعَ"(٣). وَمَعْنَى"يَتَغَنَّى ": يُحْسِنُ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ.

إن دراسة أحكام التجويد وتطبيقها عمليا من معلم ماهر متقن، تحسّن من الأداء في القراءة، ويترتب على ذلك أن الله يستمع لتلاوته، كما أنه يقتدي بالنبي ﷺ في حسن الصوت، والتغني بالقرآن.

-وقد بين النبي ﷺ فضل تدبر القرآن والتأثر به، ففي الحديث أن رسولُ اللهَّ ﷺ قال لابنِ مَسْعُودٍ ﷺ: "اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ "فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: "إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي "فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إلى هذهِ الآيَة: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤُلاءِ شَهِيدَاً ﴾ قالَ: "حَسْبُكَ الآنَ "فالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان" (٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٦٤) عن البراء بن عازبﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (١١٠٩) صحيح، عن جابر بن عبداللهﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام المنذري (١٤٥١) حديث صحيح، عن عبدالله بن أبي مليكةﷺ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٥٨٢) عن عبدالله بن مسعودﷺ .

التدبر هو التفكر والتعقل، وهو من آثار التلاوة من أجل خشوع القلب، وصفاء النفس، ونقاء السريرة، فيحمل صاحبه على العمل والتطبيق، وهو الغاية من نزول القرآن الكريم.

❁❁❁

٤. فضل العمل بالقرآن الكريم:

-وردت أحاديث كثيرة ترغب في فضل قارئ القرآن والعامل به، ففي الحديث قال رسولُ اللهِ ﷺ: "مثَلُ المؤمِنِ الَّذي يَقرَأُ القرآنَ كمَثَلِ الأُترُجَّةِ؛ رِيحُها طيِّبٌ وطَعمُها طيِّبٌ، ومثَلُ المؤمِنِ الَّذي لا يَقرَأُ القرآنَ كمَثَلِ التَّمرَةِ؛ لا رِيحَ لها وطَعمُها حُلوٌ، ومثَلُ المنافِقِ الَّذي يَقرَأُ القرآنَ مثَلُ الرَّيحانَةِ؛ رِيحُها طيِّبٌ وطَعمُها مُرٌّ، ومثَلُ المنافِقِ الَّذي لا يَقرَأُ القرآنَ كمَثَلِ الحَنظَلَةِ، ليس لها رِيحٌ وطعْمُها مُرّ"(١).

إن المؤمن الصادق هو الذي يجمع بين معالي الأمور، وهي الإيمان وقراءة القرآن، وبين جمال الباطن بالعمل بالقرآن، وجمال الظاهر يكون بحفظ القرآن وتلاوته، فيجمع بين الحسنيين، لذلك يستحق أن يكون كالأترجة أو التفاحة، وباقي الأصناف كل على حسب باطنه وظاهره.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٤٢٧) عن أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه.

-فالقرآن يرفع من يعمل به، قال عمرُ بن الخطاب أما إنَّ نبيَّكم ﷺ قد قال: "إنَّ اللهَ يرفعُ بهذا الكتابِ أقوامًا ويضعُ به آخرِين"(١).

والأمور في الكون تمشي بتدبير الله، والقرآن كلام الله، فمن عاش مع كلام الله رفعه الله به، ومن هجر القرآن وضعه الله في الدنيا والآخرة، وإن كان يعيش في المظاهر الدنيوية الفانية، فذلك متاع قليل، إلى أجل قريب.

❁❁❁

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل القرآن،

الذين هم أهل الله وخاصته، وأن يشفعه فينا يوم القيامة.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨١٧) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(١١١) فضل قيام الليل ومعيناته.

١-فضل قيام الليل.

٢-آداب قيام الليل.

٣-وقت قيام الليل، وعدد ركعاته.

٤-معينات على قيام الليل.

❁❁❁

١-فضل قيام الليل:

١-إنه أمر وتوجيه من الله لنبيه محمد ﷺ لكي يقوم به، ويداوم عليه، فهو الطريق إلى المقام المحمود، تلك المنزلة الخاصة، والمكانة السامية، التي أعدها الله لنبيه ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

والمسلمون جميعا مطالبون بالاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك، فهم مطالبون بما هو مطالب به، ما لم يكن من الخصوصيات الخاصة به ﷺ.

فقيام الليل من الأعمال التي يُمتحَن بها إخلاص العبد؛ فلا يوجد منافق يقوم الليل، وهذا العمل هو أحد الأعمال التي تميّزت بها الأمّة الإسلاميّة، وتربّى

(١) سورة الإسراء الآية (٧٩).

عليها جيل الصحابة الأُوَل؛ فقد فُرِض عليهم قيام الليل في بداية الدعوة مدّة سنة كاملة، وعلى الرغم من أنّ الله ﷻ رفع عنهم وجوبه، إلّا أنّهم استمرّوا يقومونه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١).

٢-أن الله مدح القائمين بالليل، وأثنى عليهم، وعدهم من عباده الأبرار، وورد الثناء على هذه العبادة وعلى فاعليها في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (٢).

وكان النبيّ ﷺ يُحذّر من تَركه؛ فقال مُوصِياً عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنه: "يا عَبْدَ اللهِ، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ." (٣).

---

(١) سورة المزمل الآية (٢٠).

(٢) سورة الفرقان الآيتان (٦٣-٦٤).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١١٥٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٣-إن الله شهد للقائمين باالأسحار، أنهم من أهل الجنة والرضوان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١).

٤-إن الله شهد للقائمين بالليل بأنهم أهل الإيمان والخوف من الله، وأن هذا العمل هو من الطرق المؤدية إلى الجنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢).

٥-إن الله شهد لهم بأنهم أهل العبادة والذكر، الذين لا يتساون بغيرهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (٣).

٦-إنه من أول الأعمال التي رغب فيها النبي ﷺ حين قدم المدينة بعد الهجرة، "أيُّها الناسُ أفْشوا السَّلامَ، وأَطعِموا الطَّعامَ، وصَلوا باللَّيلِ والناسُ نيامٌ، تَدْخُلوا الجَنَّةَ بسَلامٍ"(٤).

---

(١) سورة الذاريات الآيات (١٥ – ١٨).

(٢) سورة السجدة الآيات (١٦-١٧).

(٣) سورة الزمر الآية (٩).

(٤)الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (١١٠٥) حديث صحيح، عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه.

٧-إنه من أعظم القربات عند الله ﷻ وله فوائد كثيرة دنيوية وأخروية، فهو شَرَف المؤمن وعِزّه؛ وهو دليل على إثبات حُبّه لله ﷻ وإخلاصه له، وإيمانه به، فيُجازيه الله عليه؛ فيرفع مكانته ومنزلته، فهو من الفضائل التي يستحقّ أن يُغبَط عليها المسلم المواظب على تلك العبادة.

ولقد ربط النبى ﷺ بين القيام فى ظلمة الليل، وبين الأنس فى وحشة القبور، فالذى أنار ليله بعبادة الله وطاعته، كان حقا على الله أن ينير قلبه بفضله ورحمته، فقيام الليل من العبادات التي لها فضائل تعود على العبد بالنَّفع في دُنياه وآخرته.

❁❁❁

٢-آداب قيام الليل:

١-يستحب للمسلم عند التوجه إلى فراشه للنوم أن ينوي قيام الليل، وأن يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين، ثم يصلى بعدهما ما يشاء.

٣-يستحب للرجل إذا قام الليل أن يوقظ أهله، والعكس، وفي الحديث قال ﷺ: "رحم اللهُ رجلًا قام من اللَّيلِ، فصلَّى و أيقَظَ امرأتَه، فإن أبَتْ نضحَ في وجهِها الماءَ، ورحم اللهُ امرأةً قامتْ مِن اللَّيلِ فصلَّتْ وأيقظتْ زوجَها، فإن أبى نضحَتْ في وجهِه الماءَ" (١).

(١) الحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٦٢٥) حديث حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٤-يستحب أن يواصل الصلاة في حالة نشاطه، فإذا غلبه النعاس أو النوم ذهب إلى فراشه، وفي الحديث قال ﷺ: "إذا قامَ أحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فاسْتَعْجَمَ القُرْآنُ علَى لِسانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ ما يقولُ، فَلْيَضْطَجِعْ" (١).

فلا يشق على نفسه، وإنما يقوم حسب الطاقة ولا يتركه إلا للضرورة، وفي الحديث قال ﷺ: "خُذُوا مِنَ الأعْمَالِ ما تُطِيقُونَ، فإنَّ اللهَ لَنْ يَمَلَّ حتَّى تَمَلُّوا، وَكانَ يقولُ: أَحَبُّ العَمَلِ إلى اللهِ ما دَاوَمَ عليه صَاحِبُهُ، وإنْ قَلَّ" (٢).

وذُكِرَ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حتَّى أصْبَحَ، قالَ: "ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْهِ، أوْ قالَ: في أُذُنِهِ" (٣).

❁❁❁

٣-وقت قيام الليل، وعدد ركعاته:

يبدأ قيام الليل من بعد صلاة العشاء حتى صلاة الفجر، فيجوز في أول الليل وأوسطه وآخره، وأفضل أوقات صلاة الليل الثلث الأخير من الليل، وفي الحديث قال ﷺ: "يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيَقولُ: مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له"(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٧٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٢٧٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٤٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الحديث قال ﷺ: "أقرَبُ ما يَكونُ الرَّبُّ منَ العبدِ في جوفِ اللَّيلِ الآخرِ، فإن استَطعتَ أن تَكونَ مِمَّن يذكرُ اللهَ في تلكَ السَّاعةِ فَكُن)(١).

وسأل أبو ذر النبي ﷺ عن أفضل الأوقات لقيام الليل فقال: "أقربُ ما يَكونُ الرَّبُّ من عبدِهِ في جوفِ اللَّيلِ الآخرِ) (٢).

❁❁❁

وأما عن عدد ركعات قيام الليل، فليس لصلاة القيام عدد معين من الركعات، فأقلها ركعة الوتر، ولا حد لأكثرها، وعن سمرة بن جندب قال "أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلى من الليل ما قل أو كثر، ونجعل آخر ذلك وترا"(٣).

وسئلت السيدة عائشة ﵂ كيفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسولِ اللهِ ﷺ في رَمَضَانَ؟ قالَتْ: "ما كانَ يَزِيدُ في رَمَضَانَ ولَا في غيرِهِ علَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فلا تَسْأَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أرْبَعًا، فلا تَسْأَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ تَنَامُ قَبْلَ أنْ تُوتِرَ؟ قالَ: تَنَامُ عَيْنِي ولَا يَنَامُ قَلْبِي" (٤).

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٥٧٩) صحيح، عن عمرو بن عبسة﵁.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٦١.

(٣) الحديث ذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٢٢) عن سمرة بن جندب﵁.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٥٦٩) عائشة أم المؤمنين ﵂.

وفي الحديث قال ﷺ: "مَن نامَ عن حِزْبِهِ، أوْ عن شَيءٍ منه، فَقَرَأَهُ فِيما بيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ له كَأنَّما قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ.) ([1]). فمن اعتاد قراءة القرآن في الليل في الصلاة، أو في خارجها، ونام بسبب ما، وقرأ ذلك بالنهار، يثاب على ذلك كأنما قرأه من الليل سواء بسواء.

وصلاة الليل مثنى مثنى، ويختمها بركعة، يوتر بها في نهاية صلاته، أو قبل الفجر، وركعة الوتر تعد من قيام الليل.

❁❁❁

٤-معينات على قيام الليل:

١-استحضار النية عند الذهاب إلى النوم، بأن يعطيه الله الهمة والعزيمة والقوة، التي تساعده على قيام الليل، وفي الحديث قال ﷺ: "إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُها، أوْ إلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إلَيْهِ" ([2]).

فمن استحضر النية الصالحة، وسأل الله شيئا بصدق، بلغه إياه بصدق نيته، وإخلاص عمله، وأعانه على تطبيقة، فإن تعذر لسبب ما، لم يحرم من الأجر والثواب.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٧٤٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١) عن عمربن الخطاب رضي الله عنه.

٢-البعد عن الذنوب والمعاصي والآثام، فإنها مثبطات ومقيدات للإنسان تحبسه عن الطاعة، وتحجبه عن القيام بها، والشعور بلذتها، فهي توهن البدن وتضعفه، وتورث الفتور والكسل، فالطاعة تقود إلى الطاعة، والمعصية تقعد عن الطاعة، وتجعلها ثقيلة على الإنسان ما لم يتب منها.

٣-التخفيف من فضول الطعام والشراب والمخالطة، فراحة الجسم في قلة الطعام، وراحة القلب في قلة الآثام، وإذا ملئت البطون نامت العقول، وغفلت القلوب، وخسر الإنسان كثيرا من العبادات والطاعات.

٤-الاستفادة من وقت القيلولة، والنوم المبكر، وتجنب السهر، حتى يأخذ الجسد حقه من الراحة، فيكون نشيطا في العبادة والطاعة.

٥-مداومة القراءة في فضل صلاة القيام وثوابها، وقراءة سيرة الرسول ﷺ والصحابة والسلف الصالح في العبادات والطاعات، وخاصة قيام الليل، وما أعده الله للقائمين بالليل، والمستغفرين بالأسحار، من أجر وثواب، وعطاءات ونعم في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١).

❁❁❁

(١) سورة السجدة (١٧).

(١١٢) العمرة آداب وأركان.

١. العمرة معناها وفضلها.

٢. آداب ما قبل العمرة.

٣. أركان العمرة.

٤. الدروس المستفادة من العمرة.

❁❁❁

١- **العمرة تعني:** الزّيارة والقصد لمكانٍ عامرٍ، وتعني المناسك التي يقوم بها المسلم بأحوال مخصوصة.

والمقصود بها هنا: زيارة بيت الله الحرام في مكة، بقصد أداء مناسك العمرة تقربا إلى الله ﷻ. وهي سنة مستحبة على خلاف بين العلماء.

والعمرة إما أن تكون مفردة في أي وقت من أوقات العام، وقد تكون تمتعا مع الحج، وتكون في أشهر الحج فقط، شوال، وذي القعدة، وذي الحجة.

❁❁❁

فضل العمرة:

١-إنها سبب لتكفير الذنوب والمعاصي، وفي الحديث قال ﷺ: "العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُمَا، والحَجُّ المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةُ" (١).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٧٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢-إن صاحبها ضيف على الله ﷻ ويستجيب دعاءه، وفي الحديث قال ﷺ: "الغازي في سبيلِ اللهِّ، والحاجُّ والمعتمِرُ، وفْدُ اللهِّ، دعاهُم فأجابوهُ، وسألوهُ فأعطاهُم"(١).

٣-إنها تذهب الفقر وتكفر الذنوب، وفي الحديث قال ﷺ: "تابِعوا بين الحجِّ و العمرةِ؛ فإنَّهما يَنفيانِ الفقرَ والذُّنوبَ، كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديدِ والذَّهبِ والفضةِ، وليس لِلْحَجَّةِ المبرورةِ ثوابٌ إلا الجنةُ" (٢).

وفي الحديث قال ﷺ: "من طافَ بالبيتِ؛ لم يرفعْ قدَمًا؛ ولم يضعْ قدمًا؛ إلا كَتبَ اللهُ له حسنةً، وحَطَّ عنه خطِيئةً، وكَتبَ له درجةً" (٣).

وفي الحديث قال ﷺ: "إنَّ الحجَّ والعمرةَ من سبلِ اللهِ. وأنَّ عمرةً في رمضانَ تعدل حجةً أو تُجزئُ حجةً)(٤).

ومعلوم أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت، كما يزيد بحضور القلب، وبخلوص القصد، قال ابن الجوزي-رحمه الله-عن فضل العمرة في رمضان أن ثوابها مضاعف. وقال ابن بطال: إن ثواب العمرة في رمضان يعدل ثواب الحج، لكنه لا يقوم مقامه في إسقاط الفرض.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٢٨٩٣) اسناده حسن، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٨١٠) حسن صحيح غريب، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٣٦٩٧) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

(٤) الحديث أخرجه الإمام ابن خزيمه في صحيحه للألباني (٣٠٧٥) عن أم معقل الأسدية

٢- آداب ما قبل العمرة:

هناك عدة آداب يستحب لمن ينوي العمرة أو يقوم بها، منها:

١-تجديد النية بأن تكون عمرته ابتغاء مرضاة الله، ليست رياء ولا سمعة، ولا مباهاة، وإنما هي خالصة لوجه الله ﷻ.

٢-تحديد الهدف من العمرة، ينبغي لمن ينوي العمرة أن يستحضر الأهداف المبتغاة من العمرة، مثل تحصيل الأجر والثواب من الله، فهي عبادة مادية وبدنية، وأن يحرص على تزكية نفسه، وإصلاح قلبه، ويلح على الله بالدعاء في أن يكفر عنه ما وقع فيه من الذنوب والمعاصي.

٣-تجديد التوبة النصوح بشروطها، فقبل أن يخرج من بلده لا بد أن يتوب إلى الله من كل ذنب وقع فيه بقلبه وجوارحه، وأن يندم على ما فات، ويعزم على أن لا يعود إلى المعاصي مرة أخرى، وأن يرد المظالم إلى أهلها، فهي فرصة لغسل النفس والقلب والجوارح من الأدران، قبل أن يغسل بدنه بالماء والصابون.

٤-تحري الحلال في المال الذي سينفقه على رحلة العمرة، وفي المأكل والمشرب والسكن والتنقلات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾(١).

وأن لا يلجأ للاستدانة والقرض للعمرة إلا للضرورة، وأن يعلم كيف يسدد المال بعد العودة.

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٥١).

٥-حفظ الجوارح طوال الرحلة فهي، رحلة تدريبية تعبدية على حفظ الجوارح من الآثام، فيحفظ الرأس وما وعى من العين واللسان والأنف والأذن، والبطن وما حوى، من شهوة الطعام وقضاء الغريزة، وأن يصون نفسه عن اللغو والرفث.

وفي الحديث قال ﷺ: "اضمَنوا لي ستًّا أضمَنْ لكم الجنَّةَ: اصدُقوا إذا حدَّثْتُم وأوفوا إذا وعَدْتُم وأدُّوا إذا ائتُمِنْتُم واحفَظوا فُروجَكم وغُضُّوا أبصارَكم وكُفُّوا أيديَكم) (١).

٦-القيام بالنظافة الشخصية قبل الإحرام، فيستحب للمعتمر أن يقوم بالنظافة الشخصية، وهي من سنن الفطرة، أن يحلق الابط والعانة، ويقص أظافره، ويهذب شاربه، ويغتسل، ويتطيب للرجال، ثم يلبس ملابس الإحرام.

وفي الحديث قال ﷺ: "الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ) (٢).

❁❁❁

٣- أركان العمرة:

١-النية ولبس ملابس الإحرام، والنية محلها القلب، ويجوز الجهر بها للإعلام ببداية النسك، وتكون من عند الميقات المكاني، فيقول: لبيك اللهم عمرة

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان (٢٧١) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٨٨٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

عن نفسي فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني، ثم يبدأ بالتلبية حتى يصل إلى الكعبة المشرفة في مكة.

وصيغة التلبية بعد الإحرام يقول: (لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والملك لا شريك لك).

٢-الطواف ببيت الله الحرام، ويكون سبعة أشواط ويبدأ من الحجر الأسود ويلهج لسانه بالدعاء والذكر والاستغفار بالمأثور وغيره من الدعاء، ويستحب له الاضطباع وهو كشف الساعد الأيمن للرجال، وكذا الرمل وهي مجاولة الإسراع في الطواف، والطواف لا يكون إلا على طهارة أو وضوء.

ومن السنة أن يصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ثم يشرب من ماء زمزم ويتضلع منه مستصحبا الأدعية المأثورة عنه ﷺ في ذلك. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١).

٣-السعي بين الصفا والمروة، يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة وتكون سبعة أشواط يهرول عند المكان المخصص لذلك اقتداء بالسيدة هاجر، وعليه أن يشغل لسانه أثناء السعي بالذكر والاستغفار، ولا يشترط الوضوء في السعي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾(٢).

---

(١) سورة الحج الآية (٢٩).

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٨).

٤-الحلق أو التقصير، والحلق أفضل للرجال ويكون بإزالة شعر الرأس كله (بالموس) أو تقصيره (بالماكينة أو المقص) ويعتبر الحلق أو التّقصير من واجبات العمرة، إلّا أن الحلق أفضل من التّقصير، وذلك للرّجل، أمّا المرأة فليس شرطًا عليها أن تقصّر شعرها كله، وإنما تأخذ شيئا من طرف ضفيرتها قدر أنملة، ولا يجوز لها الحلق.

فالنبي ﷺ دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة، وفي الحديث قال ﷺ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ، قالوا: يا رَسولَ الله، وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قالوا: يا رَسولَ الله، وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ، قالوا: يا رَسولَ الله، وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قالَ: وَلِلْمُقَصِّرِينَ" (١).

وأما النساء فلهن التقصير فقط قدر أنملة الإصبع من طرف شعرها كما سبق، ويمكن أن تقوم هي بذلك أو يساعدا غيرها فيه، وبعد الحلق والتقصير يتحلل المحرم من ملابس الإحرام وتنتهي العمرة.

ويرى فُقهاء المذهب الشافعيّ، أن للعُمْرة خمسة أركان، هي: الإحرام، والطواف حول الكعبة، والسّعي بين الصفا والمروة، ثمّ الحلق أو التقصير، بعد الانتهاء من مناسك العُمْرة، وأخيراً الترتيب بين أركان العُمْرة على ما ذُكر، فلا يؤدّى أحدها قبل الآخر.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٣٠٢) عن أبي هريرة ﷺ.

ومن الأمور المباحة في العمرة، تغيير ملابس الإحرام للرجل أو المرأة، وقطع الطواف لدخول الحمام، أو الوضوء أو الصلاة، ويجوز تكرار العمرة في السفرة الواحدة، عن النفس، أو عن الغير، لمن اعتمر لنفسه من قبل، وعليه أن يخرج خارج نطاق الحرم للإحرام والنية، ثم يعود إلى الكعبة للنسك.

ومن المحظورات على المعتمر بعد لبس ملابس الإحرام أن يقص أظافره، أو يأخذ شيئا من شعره، أو يضع طيبا، أو يقع في اللغو والرفث.

ويستحب زيارة المدينة المنورة، بقصد الصلاة في المسجد النبوي، والتسليم على النبي ﷺ والصلاة في مسجد قباء، وزيارة البقيع، وشهداء أحد، ولا بأس بزيارة معالم المدينة وتتبع آثار النبيﷺ

والصحابة فيها؛ بقصد دراسة السيرة النبوية بطريقة عملية ميدانية.

❁❁❁

٤- الدروس المستفادة من العمرة:

١-يستحب تكرار العمرة كل فترة، تكفيرا للذنوب، ومحوا للمعاصي والآثام، وتزكية للنفس، وإصلاحا للقلب، وزيادة الإيمان، وقد ورد في السنة ما يرغب في ذلك.

٢-تذكر أن التلبية: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) ليس مجرد شعار يردده الحاج، كلما صعد جبلا أو هبط واديا، إنما هو نوع من أنواع التربية العملية للإنسان المسلم، حيث يتكرس في مفهومه سرعة تلبيته لله رب

العالمين، فيحمل ذلك في ذاكرته، ليعود إلى بلده متجسدا هذا الشعار الخالد (لبيك اللهم لبيك).

فإذا رأى طاعة أسرع إليها، متمثلا ذلك الشعار (لبيك اللهم لبيك) وكذلك وإذا رأى معصية فرّ منها أسرع إلى نداء الله: (لبيك اللهم لبيك).

٢-يستحب استشعار التاريخ الإسلامي عند أداء النسك، فيتذكر المسلم رحلة إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام إلى مكة وبناء البيت الحرام وقيام السيدة هاجر بالسعي بين الصفا والمروة بحثا عن الماء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾(١).

٣-استشعار يوم القيامة وما فيه من البعث والحساب والحشر والنشر، حينما يرى المعتمر أن الناس جميعا بلباس واحد، متساوية في كل شيء، ويتفاضلون

(١) سورة البقرة الآيات (١٢٦-١٢٩).

بـــالتقوى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(١).

٤-العمرة تذكر المسلم بفريضة الحج، والاجتماع العام لجمع المسلمين في العالم، على كلمة واحدة، وهدف واحد وغاية واحدة، فهو اجتماع إيماني عبادي اجتماعي لتوحيد كلمة المسلمين في القضايا الكبرى، والبحث عن حلول شرعية لها، بالإضافة إلى الوقوف مع الدول الإسلامية المستضعفة والمضطهدة في العالم الإســلامي. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ (٢).

❁❁❁

(١) سورة المؤمنون الآية (١٠١) .

(٢) سورة الأنبياء الآية (٩٢).

(١١٣) وماذا بعد مواسم الخيرات؟.

١-الاستمرار في العمل الصالح، والمداومة على فعله.

٢-مواجهة الشداد والصعوبات، بمجاهدة النفس بالطاعات.

❁❁❁

١-الاستمرار في العمل الصالح، والمداومة على فعله:

هو العودة إلى ما كان عليه المسلم فى مواسم الخير، فتكون ومضة للقلب، وشحنة للنفس، ويقظة للإيمان، وتعظيما للطاعة، ومداوما على الثوابت الإيمانية.

فمواسم الخير مواسم التربية والتدريب، ونقل الفرد من مرحلة إلى مرحلة، ومن مستوى إلى مستوى، فى الصلاة، والصيام، والصدقة، والقيام، والقرآن، وقلة النوم، والتجرد من الدنيا.

ودور المسلم بعد مواسم الخير، مثل شهر رمضان، والعشر الأوائل من ذي الحجة، هو (المجاهدة والارتقاء).

يقول أحد الدعاة: (إن ميدانكم الأول أنفسكم، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر، وإذا أخفقتم في جهادها، كنتم عما سواها أعجز، فجربوا الكفاح معها أولا).

ولما كان درب الحياة طويلا، والحياة كلها امتحان وابتلاء، والتحديات والمحن كثيرة، فلابد من زاد للدعاة، يصبرهم على طول المسافة، وكثرة المشاق.

لقد تعهد الله نبيه ﷺ فى غار حراء عشر سنوات، صنعه على عينه، وأدبه فأحسن تأديبه، زوده بالايمان والقرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (١).

وقد أشار النبى ﷺ إلى الزاد فقال لأبى ذر: قال ﷺ لأبي ذرٍّ: "لو أردتَ سفرًا أعددتَ له عُدَّةً؟ قال: نعم، قال: فكيف سفرُ طريقِ القيامةِ ألا أُنبِّئُك يا أبا ذرٍّ بما ينفعُك ذلك اليومَ؟ قال بلَى بأبي أنت وأمِّي قال: صُمْ يومًا شديدَ الحرِّ ليومِ النُّشورِ وصَلِّ ركعتَيْن في ظُلمةِ اللَّيلِ لوحشةِ القبورِ، وحُجَّ حجَّةً لعظائمِ الأمورِ ، وتصدَّقْ بصدقةٍ على مسكينٍ أو كلمةِ حقٍّ تقولُها أو كلمةِ شرٍّ تسكتُ عنها"(٢).

❁❁❁

والمطلوب من المسلم أن يحرص على هذه العبادات والطاعات.

١-صم يوم شديد الحر ليوم النشور.

٢-وصلاة ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور.

٣-وحج حجة لعظائم الأمور.

٤-والتصدق بصدقة على المسكين.

٥-وكلمة حق يقولها، أو كلمة شر يسكت عنها.❁❁❁

(١) سورة الشورى الآية (٥٢).

(٢) الحديث ذكره العراقي في تخريج الاحياء ١/ ٤٦٦. مرسل، من طريق السري بن مخلدﷺ.

٢-مواجهة الشداد والصعوبات، بمجاهدة النفس بالطاعات:

وهذا الزاد يقوم على مواجهة الشدائد التي تواجه المسلم في الحياة، بمجاهدة النفس بالطاعة، وإكراه النفس عليها، حتى تستقيم على طريق الإيمان.

فالعقبةالرئيسية التى تواجه المسلمين، إنما هو التقصير فى حق النفس، والانشغال بنقل الدعوة، عن الإلتزام بها، والانفعال معها.

ومن بين تلك الصور والصعوبات التي تواجه المسلم في الحياة (ونفس تنازعه).

فمنازعة النفس فى وسوستها وكيدها ومكرها وانحرافها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ (١).

فالمنازعة تكون: فى التفاعل بين ما يراد بها من خير، وما تميل إليه من شر، بين ما عليه العقل والدين، وبين ما تجر إليه الشهوة.

فالنفس كالاناء الذى يتسع لكل شئ، الهدى والضلال، والخير والشر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾ (٢).

---

(١) سورة يوسف الآية (٥٣).

(٢) سورة الشمس الآيات (٧-١٠).

إن أعدى عدو الإنسان نفسه التى بين جنبيه، وإن إهمال النفس يؤدى إلى الفتور والقسوة والانحراف عن الطراط المستقيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (١).

إن مهمة الإنسان أن يربح نفسه أولا، ثم من يعول، ثم الآخرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢).

وأكبر خسارة أن يخسر الإنسان نفسه، ومن يعول، ويربح زخارف وزينة الدنيا الفانية، على نعيم الآخرة.

فمقدمات الخسارة: الإهمال، وعدم الترويض، وعدم ترجمة الأقوال إلى أعمال، والمبادئ إلى أفعال، فالفرد مطالب بمحاسبة نفسه قبل غيره، وتربية ذاته قبل الآخرين، والإحسان إلى نفسه قبل الإحسان إلى الآخرين.

يقول الإمام على: (من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تهذيبه بسيرته، قبل تهذيبه بلسانه، ومعلم نفسه ومهذبها حق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم).

---

(١) سورة البقرة الآية (٧٤).

(٢) سورة الطور الآية (٢١).

وعن معاذ بن جبل قال: (تعلَّموا ما شئتم أن تَعلَّموا، فلن يأجُرَكم اللهُ حتَّى تعملَّوا)([1]).

والمسلم إذا لم يكن ربانيا فلا خير فيه، مهما كانت ثقافته وعمله، لأن ذلك لم يؤسس على التقوى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ([2]).

قال يحيء بن معاذ جاهد نفسك بأسياف الرياضة، وهى على أربعة أوجه:

١. (القوت من الطعام: يتولد من قلة الطعام موت الشهوة.

٢. الغمض من المنام: يتولد من قلة النوم صمود الإرادة.

٣. الحاجة من الكلام: يتولد من قلة الكلام السلامة من الآفات.

٤. تحمل الأذى من جميع الأنام: يتولد من احتمال الأذى، البلوغ إلى الغايات).

❁❁❁

معنى المجاهدة: في اللغة المحاربة.

وفي الشرع: محاربة النفس الأمَّارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع ([3]).

---

(١) الحديث ذكره الإمام العراقي في تخريج الإحياء١/ ٩٢. إسناده ضعيف، ورواه الدرامي موقوفاً على معاذ بسند صحيح، عن معاذ بن جبل ﷺ.

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٩).

(٣) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، صـ٢٠٤

وقال ابن علّان: (المجاهدة: مفاعلة من الجهد: أي الطّاقة، فإنّ الإنسان يجاهد نفسه باستعمالها فيما ينفعها حالا ومآلا، وهي تجاهده بما تركن إليه) (١).

وقال ابن حجر-رحمه الله-في قوله-يعني البخاري-: (باب من جاهد نفسه في طاعة الله ﷻ). يعني بيان فضل من جاهد، والمراد بالمجاهدة: كفّ النّفس عن إرادتها من الشّغل بغير العبادة.

وقال ابن بطّال: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (٢).

وتقع المجاهدة بمنع النّفس عن المعاصي، وبمنعها من الشّبهات، وبمنعها من الإكثار من الشّهوات المباحة، لتتوفّر لها في الآخرة. ولئلّا يعتاد الإكثار فيألفه، فيجرّه إلى الشّبهات، فلا يأمن أن يقع في الحرام.

قال المناويّ: (هي حمل النّفس على المشاقّ البدنيّة، ومخالفة الهوى) وقيل: (هي بذل المستطاع في أمر المطاع أي المولى ﷻ)(٣).

وقال علي بن أبي طالب: (الدنيا دار ممر إلى دار قرار، والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاعها فأعتقها). ❁❁❁

---

(١) دليل الفالحين، شرح رياض الصالحين، ١/ ٣٠٢.

(٢) سورة النازعات الآية (٤٠-٤١).

(٣) التوقيف، صـ ٢٩٧.

كيفية المجاهدة:

قال القشيريّ: (أصل مجاهدة النّفس، فطمها عن المألوفات، وحملها على غير هواه. وللنّفس صفتان: إنهماك في الشّهوات، وامتناع عن الطّاعات، فالمجاهدة تقع بحسب ذلك).

فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه، فمجاهدة نفسه حملها على اتّباع أوامر الله، واجتناب نواهيه، وإذا قوي العبد على ذلك، سهل عليه جهاد أعداء الدّين.

قال الإمام الغزاليّ-رحمه الله: (قد اتّفق العلماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلّا بنهي النّفس عن الهوى، ومخالفة الشّهوات، فالإيمان بهذا واجب).

وجهاد النّفس أساس كبير في تهيّؤ الإنسان للخلافة في الأرض، وحتّى تطهر تلك النّفس بالمجاهدة، فإنّ لذلك أسبابه ودواعيه.

يقول الرّاغب: (والّذي يطهّر النّفس: العلم والعبادات الموظّفة الّتي هي سبب الحياة الأخرويّة، كما أنّ الّذي يطهر به البدن هو الماء الّذي هو سبب الحياة الدّنيويّة، ولذلك سمّاها: الحياة وسمّي ما أنزل الله تعالى في كتابه: الماء، **قَالَ تَعَالَىٰ**:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١).

فسمّى العلم والعبادة حياة، من حيث إنّ النّفس متى فقدتهما هلكت هلاك الأبد، كما قال في وصف الماء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢).

وطهارة النّفس تتحقّق من خلال:

(-إصلاح الفكر بالتّعلّم؛ حتّى يميز بين الحقّ والباطل في الاعتقاد، وبين الصّدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الفعال .

-وإصلاح الشّهوة: بالعفّة حتّى تسلس بالجود، والمواساة المحمودة بقدر الطّاقة

-وإصلاح الحميّة بإسلاسها حتّى يحصل التّحكّم، وهو كفّ النّفس عن قضاء وطر الخوف وعن الحرص المذمومي(٣). وبإصلاح هذه القوى الثّلاث يحصل للنّفس العدالة والاستقامة والإحسان.

❁❁❁

(١) سورة الأنفال الآية (٢٤).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٣٠).

(٣) انظر نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صـ ٣٣٠٧.

(١١٤) وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

١. معناه.

٢. أهميته، وفضله.

٣. فوائده وآثاره.

٤. نماذج من فعل الخيرات.

٥. الذي يصنع الخير للناس إنما يقدمه لنفسه.

❁❁❁

١-معناه: أن يقدم الانسان العون للناس، وأن يساعد الأخرين على قدر الوسع والطاقة، لأنه من خصائص الشخصية المسلمة، التي تفهم الدين فهما شاملا، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط.

ومن أدعية النبي ﷺ: "اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين).

وكان ﷺ يقول: "اللهم إني أسألك الخير كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم).

ازرع جميلا ولو في غير موضعه ∴ فلا يضيع جميل أينما زرعا

إن الجميل وإن طال الزمان به ∴ فليس يحصده إلا الذي زرعا.

❁❁❁

٢- أهميته وفضله:

١-إن الإسلام رغب في فعل الخير ترغيبا شديدا، فجعله من أهداف المسلم في الحياة، ورتب الله الفلاح علي فعل الخير. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ ﴾(٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (٣).

٢-إنه لون من التعاون بين الناس، وقد حض القرآن علي ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾(٤).

٣-إنه سبب لمغفرة الله وعفوه وصفحه، وفي الحديث قال ﷺ: "بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فيها، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقَدْ بَلَغَ هذا الكَلْبَ مِنَ

(١) سورة الحج الآية (٧٧).

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٨).

(٣) سورة آل عمران الآيتان (١٣٣- ١٣٤).

(٤) سورة المائدة الآية (٢).

العَطَشِ مِثْلُ الذي كانَ بَلَغَ بي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ له فَغَفَرَ له قالوا: يا رَسولَ اللهِ، وإنَّ لنا في البَهائِمِ أجْرًا؟ فقالَ: نَعَمْ، في كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ. (١).

٤-أنه عمل صالح مستمر في الثواب، ينفع صاحبه بعد الموت إلى يوم القيامة، وفي الحديث قال ﷺ: "إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَعُ به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له" (٢).

٥-إنه عمل صالح ينفع صاحبه في حساب القبر، ويتولى الدفاع عنه وفي الحديث قال ﷺ: "إنَّ الميتَ لَيسمعُ خفقَ نعالِهم إذا ولَّوا عنه مُدبرينَ فإذا كان مؤمنًا كانت الصلاةُ عند رأسِه والزكاةُ عن يمينِه وكان الصيامُ عن يسارِه وكان فعلُ الخيراتِ من الصدقةِ والصلةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى الناسِ عند رجليه فيؤتَى مِنْ عندِ رأسِهِ فتقولُ الصلاةُ ما قِبَلِي مُدخَلٌ فيؤتَى مِنْ عندِ يمينِهِ فتقولُ الزكاةُ ما قِبَلِي مَدخلٌ فيُؤتَى عن يسارِه فيقولُ الصيامُ ما قِبَلِي مَدخلٌ فيؤتَى مِنْ عندِ رجلَيهِ فيقولُ فعلُ الخيراتِ مِنَ الصدقةِ والصلةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى الناسِ ما قِبَلِي مَدخلٌ... ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ مِن أبوابِ الجنَّةِ فيُقالُ له: هذا مقعَدُك منها وما أعَدَّ اللهُ لك فيها فيزدادُ غِبطةً وسرورًا) (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٠٠٩) عن أبي هريرةﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرةﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٣١١٣) عن أبي هريرةﷺ.

٦-إنه يكسب العبد توفيق الله وعونه وعفوه وتيسيره، وفي الحديث قال ﷺ: "مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ"(١).

وفي الحديث قال ﷺ: "كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ"وفي رواية لمسلم: "قال اللهُ ﷻ نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ"(٢).

٧-إنه ينفع صاحبه في الشدة، وينقذه من المهالك، ففي قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت في الغار، ففي الحديث قال ﷺ: "بيْنَما ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فأوَوْا إلى غَارٍ في جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ علَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عليهم، فَقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً للهِ، فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ"(٣).

٨-إنه عمل صالح يتعدى نفعه إلى الغير، فيقدم علي العمل الخاص بالنفس، وفي الحديث قال ﷺ: " المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَن كانَ

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٥٦١) عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٧٤٣) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عنْه بها كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ"(١).

٩-إنه من حقوق المسلم العامة، فينبغي مساعدته عند الحاجة، وفي الحديث قال ﷺ: "حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ سِتٌّ قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ الله؟ قالَ: إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه، وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ" (٢).

١٠-إن الثواب مستمر حتي اذا توقف الإنسان عن العمل، بسبب المرض أو السفر، وفي الحديث قال ﷺ: "إذا مرض العبد أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل صحيحا) (٣). فالصلة بالله لا تنقطع، والحسنات لا تتوقف، وتحصل البركة والتوفيق مستمر.

١١-الاقتداء بالنبي ﷺ وعمل الصحابة الكرام، ماذا قالت السيدة خديجة للنبي ﷺ: "إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ) (٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢١٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٩٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.

خرج أبو بكرٍ مُهاجرًا نحو أرضِ الحبشةِ حتى إذا بلغ برْكَ الغَمادِ لقِيَه ابنُ الدَّغِنَةَ وهو سيِّدُ القارَةِ قال: (أين تريدُ يا أبا بكرٍ؟ قال أبو بكرٍ: أَخْرَجَني قومي، فأريدُ أن أسيحَ في الأرضِ، وأعبدُ ربي، قال ابنُ الدَّغِنَةَ: فإنَّ مثلَك–يا أبا بكرٍ–لا يخرجُ، ولا يخرجُ، أنت تَكسِبُ المُعدَمَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتُقرِي الضَّيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ، فأنا لك جارٌ. ارجِعْ واعبُدْ ربَّك ببلدِك، فرجع) (١).

وجاء في الأثر، قال ابن عباس أربعة لا أقدر على مكافأتهم: (رجل بدأني بالسلام. ورجل وسع لي في المجلس. ورجل اغبرت قدماه في المشي في حاجتي. فأما الرابع فما يكافئه عني إلا الله عز وجل. قيل: ومن هو قال ﷺ: رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر فيمن يقصده... ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي)

وعن ابن بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس ﷺ فقال ابن عباس: (إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال، إني لآتي على الآية من كتاب الله ﷻ فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح، وما لي به من سائمة). وقال محمد بن الحنيفة: (صانع المعروف لا يقع، ولو وقع لا ينكسر).❁❁❁

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البغوي في شرح السنة ٧/ ١٠٦ صحيح عن عائشة ﷺ.

٣- أمثلة لفعل الخير: اختر منها ما يناسبك.

فعل الخيرات في الإسلام باب واسع كبير، وبحر شاسع ساحله بعيد، ومن هذه الصور: طلاقة الوجه، إلقاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، تعلم القرآن الكريم وتعليمه، محو الأمية، فصول تعليمية، قوافل طبية، رحلات حج وعمرة، تقديم لحوم الأضاحي وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، إفطار جماعي، المساهمة في إفطار صائم، سقيا الماء.

المساهمة في كفالة الأيتام، مساعدة المحتاجين، جمع الصدقات للفقراء والمساكين، تقديم القروض الحسنة، توفير كرسي متحركا لكبار السن، وأصحاب الظروف الخاصة، زيارة مريض، إماطة الأذى عن الطريق، إرشاد الضال، أن تطعم جائعا، أن تسقي ظمآنا، أن تغيث ملهوفا، أن تقضي دينا عن مدين، الأمر بالمعروف والنهي عن الـمنكر، بِرُّ الوالدين أحياءً وأمواتًا، صلة الأرحام وذوي القُرْبى.

وفي الحديث عن سعد بن عبادة إنَّ أُمَّهُ ماتت، فقال: يا رسولَ اللهِ: إنَّ أمي ماتت، أفأتصدقُ عنها؟ قال: "نعم. قال: فأيُّ الصدقةِ أفضلُ؟ قال: سقْيُ الماءِ فتلك سقايةُ سعدٍ بالمدينةِ) (١).

يقول ابن القيم: (إن في قضاء حوائج الناس لذة، لا يعرفها إلا من جربها، فافعل الخير مهما استصغرته، فإنك لا تدري أي حسنة تدخلك الجنة). وقال: (لا

(١) الحديث أخرجه الإمام النسائي (٣٦٦٨) حسن لغيره عن سعد بن عبادةﷺ.

تحسب أن نفسك هي التي ساقتك إلى فعل الخيرات، بل اعلم إنك عبد أصيل إلى الله، فلا تفرط في هذه المحبة فينساك).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (١).

تقول الدراسات العلمية: إن الإكثار من فعل الخيرات يؤثر إيجابياً على الحالة النفسية للإنسان، بل وتقي من أمراض القلب...وهناك مجموعة من الهرمونات والنواقل العصبية الكيميائية المسؤولة عن شعورنا بالسعادة، أهمها: السيروتونين، الإندروفين، الدوبامين، والأوكسيتوسين. لا تفرز هذه الهرمونات إلا عند مساعدة الآخرين.

❁❁❁

٤ – من يصنع الخير للناس إنما يقدمه لنفسه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴿٧﴾ ﴾ (٢).

لَا شَيْءَ فِي الدُّنيا يَعِيشُ لِنَفْسِه (خُلِقَتْ الْأَشْيَاءُ لِتَخْدِمَ غَيْرَهَا).

فالنَّهْرُ لَا يَشْرَبُ مَاءَهُ، وَالْبَحْرُ لَا يَأْكُلُ سَمَكَهُ، والأَشْجَارُ لَا تَأْكُلُ ثِمَارَهَا، وَالشَّمْسُ لَا تُشْرِقُ لِذَاتِهَا، والزَّهَرَةُ لَا تُعْبِقُ لِنَفْسِهَا،وَذَاتُ الضَّرْعِ لَا تَشْرَبُ لَبَنَهَا. هذه حِكْمَة اللهِّ وَرِسَالَته لَنَا فَلْنَكُنْ عَوْناً لِبَعْضِنَا.

---

(١) سورة البقرة الآية (١١٠).

(٢) سورة الإسراء الآية (٧).

فإذا جَاءَكَ الْمَهْمُومُ أَنْصِتْ. وَإِذَا جَاءَكَ الْمُعْتَذِرُ فاصْفحْ. وَإِذَا قَصَدَك الْمُحْتَاجُ أَنْفِقْ. كُلُّ شَيْءٍ حَوْلَنَا يَرْحَلُ وَيَغِيبُ إِلَّا الْخَيْرَ؛ فَإِنَّه يَظَلُّ مَغْرُوساً فِي النَّفْسِ.

فإذَا جاءَكَ أَحَدٌ طَالِباً نَفعَك؛ تَأَكَّد بِأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْتَفِعُ أَكْثَرَ مِنْهُ، سَاقَهُ اللهُ إِلَيْك، وَفَتَحَ لكَ بَابَ خَيْرٍ، فَلَا تَظُنُّ أَنَّ الْوَقْتَ الَّذِي يَمْضِي فِي نَفَعِ غَيْرِك هوَ لَهُم؛ إِنَّمَا هُوَ لَك.

نسأل الله أن يجعلنا من المتسابقين لفعل الخيرات.

❁❁❁

(١١٥) نعمة الشكر.

١-معني الشكر وأركانه.

٢-الفرق بين الشكر والحمد.

٣-الشكر من صفات الله، والأنبياء، والصالحين.

٤-مبطلات الشكــر.

٥-كيف نكون من الشاكرين؟.

❁❁❁

١-الشكر يعني:

قال ابن منظور: (الشُّكر عِرفانُ الإحسان ونشرُه، والشُّكر من الله: المجازاةُ والثناءُ الجميلُ)(١).

والشكر يعني أيضا: الاعتراف بالنعمة، والثناء علي صاحبها، وهو الله ﷻ ويكون باللسان والقلب والجوارح.

والشُّكر بالقلب: وهو أن يقصد الخير، ويضمره للخلق كافة.

والشُّكر باللسان: وهو إظهار الشُّكر لله بالتحميد.

والشُّكر بالجوارح: وهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة شكر، ٤/ ٢٣٠٥.

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ∴ يدي ولساني والضمير المحجبا.

إذا أنت لم تَزْدَدْ على كُلِّ نِعمةٍ ∴ لموليكَها شُكْرًا فلسْتَ بشاكِر.

قال ابن القيم-رحمه الله-: (الشكر ظهور أثر نعمة الله علي لسان عبده، ثناء واعترافا، وعلي قلبه شهودا ومحبة، وعلي جوارحه انقيادا وطاعة) (١).

فلا بد للعبد أن يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة، وأن يثني علي المحسنين بها، ويشكرهم عليها، وأن يستعين بها في طاعة الله ﷻ.

❁❁❁

أركان الشكر:

١-الاعتراف بالنعمة، حينما أمطر الناس في عصر النبي ﷺ فقال: "أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شاكِرٌ، ومِنْهُمْ كافِرٌ)(٢).

٢-التحدث بها من باب الاعتراف بالجميل من الله، والثناء علي المنعم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾(٣).

٣-استخدامها في طاعة المنعم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (٤).

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٤٤.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٧٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سورة الضحى الآية (١١).

(٤) سورة سبأ الآية (١٣).

أي علي ما أعطاكم الله بطاعته، فالصلاة والصيام شكر، وكل خير تعمله شكر، وأفضل الشكر الحمد والثناء علي الله ﷻ وامتثال أمره، والذكر شكر لله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾(١).

فالذكر الثاني شكر، لأنه متعلق بالبداية، ومترتب علي النعمة.

قال الفيروز آبادي: (الشُّكر أعلى منازل السالكين، وفوق منزلة الرضا، فإنه يتضمن الرضا وزيادة، والرضا مندرج في الشُّكر، إذ يستحيل وجود الشُّكر بدونه، وهو نصف الإيمان.

ومبناه على خمس قواعد: خضوع الشَّاكر للمشكور، حبه له، اعترافه بنعمته، الثناء عليه بها، ألا يستعملها فيما يكره، فمتى فُقِد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشُّكر)(٢).

فالشكر له ثلاث حالات؛ أولها حينما تعزو هذه النعمة إلى الله، وإذا امتلأ قلبك امتناناً بالشكر، فهذه نعمة ثانية، أما حينما تقابل النعمة بعمل صالح فهذه نعمة ثالثة، وهي أعلى أنواع الشكر.

❁❁❁

(١) سورة البقرة الآية (١٩٨).

(٢) انظر بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي ٣/ ٣٤.

٢-الفرق بين الشكر والحمد:

الشكر يكون بالجوارح، ويكون عند النعماء، وفي الحديث قال ﷺ: "عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له) (١).

والحمد باللسان والقلب، ويكون علي كل حال، وخاصة عند البلاء (الحمد لله علي كل حال) ويكون عند النعم أيضا ومنه الدعاء، (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات).

❁❁❁

٣-أهمية الشكر:

١-الشكر من صفات الله، لقد وصف الله نفسه بالشكور، وفي آيات كثيرة في القرآن الكريم منها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٨).

(٣) سورة فاطر الآية (٣٠).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (١).

فسمي نفسه بالشكور من أجلنا، فهو يعفو عن الكثير من الزلل، ويشكر علي القليل الخالص، ولا يضيع أجر من أحسن عملا، فيثيبه عليه في الدنيا والأخرة.

ويعطي علي العمل في أيام الدنيا القليلة المحدودة، ثوابا ونعيما وأجرا بلا حدود في الأخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢).

وقصة الرجل الذي سقي الكلب، فشكر الرجل للنعم كان عملا وسلوكا، لذلك كافأه الله عليه بالشكر والجنة، وفي الحديث قال ﷺ: "إِنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ له به حتَّى أرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللهُ له، فأدْخَلَهُ الجَنَّةَ"(٣). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾(٤).

٢-الشكر من صفات الأنبياء والمرسلين، فوصف الله عبده نوحا عليه السلام بأنه كان من الشاكرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

(١) سورة التغابن الآية (١٧).

(٢) سورة المرسلات الآية (٤٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري(١٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سورة البقرة الآية (١٥٨).

﴿ (١). وهذا إبراهيم عليه السلام كان شاكرا لنعم الله عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾(٢).

وهذا موسى عليه السلام أمره الله بالشكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (٣).

وهذا داود عليه السلام أمره الله بالشكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (٤).

وهذا خاتم الأنبياء ﷺ أمره الله بالمداومة على نعمة الشكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٥).

وتقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رَسولَ اللهِ، وقدْ غَفَرَ اللهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟ قالَ: أفلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا) (٦).

---

(١) سورة الإسراء الآية (٣).

(٢) سورة النحل الآية (١١٢).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٤٤).

(٤) سورة سبأ الآية (١٣).

(٥) سورة الزمر الآية (٦٦).

(٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٨٣٧) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

٣-الشكر من صفات المؤمنين الصادقين، وفي الحديث قال ﷺ: "إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له) ([1]).

٤-الشكر سبب لرضي الله عن عبده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ ﴿٧﴾ ﴾([2]).

٥-الشكر أمان من العذاب في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾([3]).

٦-الشكر سبب لزيادة النعم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ ([4]).

٧-الجزاء من جنس العمل في الأخرة للشاكرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ ([5]). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾([6]).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه.

(٢) سورة الزمر الآية (٧).

(٣) سورة النساء الآية (١٤٧).

(٤) سورة إبراهيم الآية (٧).

(٥) سورة آل عمران الآية (١٤٥).

(٦) سورة آل عمران الآية (١٤٤).

٨-الشكر أمر الهي من الله للجميع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾(٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾(٣). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(٤). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٥).

❁❁❁

٤-مبطلات الشكـــر:

١-المن علي من صنعت له معروفـــا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ (٦).

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥٢).

(٢) سورة لقمان الآية (١٤).

(٣) سورة البقرة الآية (١٧٢).

(٤) سورة يس الآية (٣٥).

(٥) سورة يس الآية (٧٣).

(٦) سورة البقرة الآية (٢٦٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ (١).

قال ابن سيرين -رحمه الله- وقد وسمع رجلا يقول لرجل فعلت إليك وفعلت، فقال اسكت: (لا خير في المعروف اذا أحصي وروي).

٢-جحود النعم وكفرانها، وعدم شكر المنعم عليها، مثل ما فعل قوم سبأ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢).

فقوم سبأ ملو النعم وكفروا بها، فكانت العقوبة السريعة التي رأوها بأعينهم، فالجزاء من جنس العمل.

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: (عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم)

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: (الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر، فكم من منعم عليه غير شاكر، وإن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذاباً).

❁❁❁

(١) سورة المدثر الآية (٦).

(٢) سورة سبأ الآيات (١٥-١٧).

(٥)كيف نكون من الشاكرين؟.

١-تحقيق أركان الشكر في نفس الإنسان، وهي الاعتراف بالنعمة والتحدث بها، والثناء علي المنعم، وتسخيرها في طاعة الله، وأداء حق الله فيها. وشكر كل من أسدي إلينا معروفا، وخاصة الخالق ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ (١).

٢-الشكر لكل من قدم لك معروفا، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله، وفي الحديث قال ﷺ: "من لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثيرَ، ومن لم يشكرِ الناسَ، لم يشكرِ اللهَ، و التحدُّثُ بنعمةِ اللهِ شكرٌ، وتركُها كفرٌ، و الجماعةُ رحمةٌ، و الفُرقةُ عذابٌ) (٢).

وفي الحديث قال ﷺ: "منِ استعاذ بالله فأعيذوه، ومَنْ سأل باللهِ فأعطُوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموهُ) (٣). وفي الحديث قال ﷺ: "من صُنع إليه معروفٌ فقال لفاعلِه جزاك اللهُ خيرًا فقد أبلغ في الثَّناءِ" (٤).

---

(١) سورة النحل الآية (٧٨).

(٢) الحديث ذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٧٦) حسن صحيح، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٦٧٢) إسناده صحيح، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه .

(٤) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ١٠٢ إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه .

٣-كثرة التأمل والتفكر في نعم الله علي الإنسان، من السمع والبصر، واليد والحركة والصحة، والزوجة والولد، والحرية، والعلم، والشهادة، وحب الناس للإنسان، فكلها من أهم دواعي الشكر من العبد إلى الرب.

النعم ثلاث: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها من الله، ونعمة هو فيها ولا يشعر بها. والنعمة التي يتم تجاهلها تصبح نقمة على صاحبها.

٤-القناعة والرضا بما قسم الله للإنسان، وفي الحديث قال ﷺ: "اتَّقِ المحارمَ تكن أعبدَ الناسِ، وارْضَ بما قسم اللهُ لك تكن أغنى الناسِ وأَحْسِنْ الى جارِك تكن مؤمنًا، وأَحِبَّ للناسِ ما تُحبُّ لنفسِك تكن مسلمًا، ولا تُكثِرِ الضحكَ، فإنَّ كثرةَ الضحكِ تُميتُ القلبَ، كن ورعًا تكن أعبدَ الناسِ، وكن قنعًا تكن أشكرَ الناسِ، وأَحِبَّ للناسِ ما تُحبُّ لنفسِك تكن مؤمنًا، وأحْسِنْ مجاورةَ من جاورَك تكن مسلمًا) (١).

٥-نسبة النعم إلى المنعم، أي إلى صاحبها الحقيقي في كل شيء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي ٢٣٠٥ حسن لشواهده، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٢٣).

(٣) سورة الأنفال الآية (١٧).

٦-المواظبة علـــي صلاة الضحى قدر المستطاع، فهي شكر لجميع نعم الله على أعضائه ومفاصله، وفي الحديث قال ﷺ: "يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِن أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِن ذلكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُما مِنَ الضُّحَى) (١).

٧-إحياء سنة سجود الشكر، كما هو مأثور عنه ﷺ وفي الحديث: "أَنَّه كان إذا جاءه أمرٌ سرورٌ أو بُشِّرَ- به، خرَّ ساجدًا شاكرًا لله) (٢). ولا يشترط له طهارة، ولا استقبال القبلة.

٨-المواظبة علي أذكار الصباح والمساء، كل يوم شكرا لنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وفي الحديث قال ﷺ: "من قالَ حين يصبحُ اللهمَّ ما أصبحَ بي منْ نعمةٍ أو بأحدٍ منْ خلقِكَ فمنكَ وحدكَ لا شريكَ لكَ، فلك الحمدُ ولك الشكرُ فقد أدى شكرَ ذلك اليومَ -يعني-وحينَ يمسي مثلُ ذلكَ) (٣).

١٠-تمني العافية مع الشكر أفـــــضل من تمني البلاء مع الصبر، قال مطرف بـــــن عبـــــدالله الشخير-رحمه الله-(لأن أعافي فأشكر، أحب إلـــــى من أن أبتلي وأصبر)(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٧٢٠) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢٧٧٤) صحيح، عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن حجر في نتائج الأفكار ٢/ ٣٨٠ حسن، عن عبدالله بن غنام البياضي رضي الله عنه .

(٤) مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن قدامة المقدسي: صـ ٢٩٥ .

ووصف الله سليمان عليه السلام وأيوب عليه السلام بقوله نعم العبد وهي أعلى درجات القرب من الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾ ﴾(١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخُذۢ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣). فأثني عليهم بالأوبة إلى الله، (فلا شك أن العافية مع الشكر، أفضل من البلاء مع الصبر، لأن الإنسان قد لا يطيق تحمل البلاء، فيصيبه الجزع والقنوط).

١٠-المواظبة على كثرة الدعاء بإلحاح، بأن تسأل الله أن يجعلك من الشاكرين، وفي الحديث قال ﷺ: "اللهم أعني علي ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) (٤).

وكان رسولُ الله ﷺ يدعو فيقولُ: "اللَّهمَّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصُرْني ولا تنصُرْ عليَّ، وامكُرْ لي ولا تمكُرْ عليَّ، واهدِني ويسِّرْ لي الهُدى، وانصُرْني على مَن بغى عليَّ، اللَّهمَّ اجعَلْني لكَ شكَّارًا، لكَ ذكَّارًا، لكَ مِطواعًا، إليكِ مُخبتًا،

(١) سورة ص الآية (١٧).

(٢) سورة ص الآية (٣٠).

(٣) سورة ص الآية (٤٤).

(٤) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٢٠٢٠) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

لكَ أوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ اقبَلْ تَوْبتي، واغسِلْ حَوْبتي، وثبِّتْ حُجَّتي، وسدِّدْ لساني، واسلُلْ سَخيمةَ قلبي ([1]).

اللهم إنّ نعمك كثيرة علينا لا تعد ولاتحصى، ولا نحصي ثناء عليك ولا نقدر، كما أثنيت على نفسك، وأنت سبحانك غني عن العالمين.

اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وعلو مكانك.

سبحانك يا ربنا لك الحمد والشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملئ السماوات والأرض وملئ ما بينهما من شيء.

نسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين لجميع نعمائه وآلائه،

في كل وقت وحين.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٩٤٨) إسناده صحيح، عن عبدالله بن عباسﷺ.

(١١٦) المسلم بين الخوف والرجاء.

١. تعريف الخوف وأنواعه.

٢. مظاهره.

٣. ثمراته.

٤. تعريف الرجاء.

٥. مظاهره.

٦. ثمراته.

٧. عند الجمع بين الخوف والرجاء، فأيهما يقدم؟.

❁❁❁

١-الخوف معناه:

الذعر، والخشية، والوجل، والقلق والاضطراب، وعدم الاطمئنان، والفزع تجاه شيء مجهول ينتظره الإنسان، في العاجل أو الأجل.

وسببه: توقع شيء مكروه مظنون، فالخوف فيه معنى الغم الذي يلحق بالنفس عند ما تقع في مصاب أو مكروه.

وأما الخوف من الله ﷻ فهو يراد به الكف عن المعاصي والذنوب، واختيار الطاعات خوفا من عقاب الله ﷻ وعذابه يوم القيامة. فالخوف هَرَبُ القلب من حلول المكْروه عند استشعاره. وكما قيل: (رأس الحكمة مخافة الله).

وأعرف الناس بالله هم العلماء، لذلك هم أشد الناس خشية وخوفا من الله ﷻ لأنهم أعلم الناس به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(١).

فالمطلوب الخوف من الله وحده، وعدم الخوف من شياطين الجن والإنس وأتباعهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (٢).

قال سعيد بن جبير-رحمه الله-: (إن الخشية أن تخشى الله ﷻ حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته).

قال أبو حفص النيسابوري-رحمه الله-: (الخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله ﷻفإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه).

ولاشك أن الخشية فيها معنى التعظيم والإجلال، وهي أشد من الخوف، والخشية تكون من الله فقط، أما الخوف فيكون من الله ومن غيره، والخشية تكون عن علم، بخلاف الخوف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣).

❁❁❁

(١) سورة فاطر الآية (٢٨).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٧٥).

(٣) سورة فاطر الآية (٢٨).

أنواع الخوف:

يقف الخوف على رأس الأسباب التي تدفع إلى القلق دفعا، سواء كان خوفا من الموت، أم خوفا على الرزق، أم غير ذلك.

ويمكن تقسيم الخوف إلى أنواع من خلال ما يأتي:

١-الخوف الفطري، من عدو أو سبع أو ظالم، فهذا خوف فطري داخل الإنسان، يمكن أن يدفعه ويقاومه بالتدرب والمران، وهذا لا يقدح في صاحبه، فقد خاف موسى-عليه السلام-من قبل هذا الخوف الفطري، قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢).

٢-الخوف المذموم، وهو الخوف من غير الله، من غير سبب يستدعي الخوف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (٣).

---

(١) سورة القصص الآية (٢١).

(٢) سورة المعارج الآيات (١٩-٢٢).

(٣) سورة ال عمران الآية (١٧٥).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (١).

٣-الخوف المحمود، وهو الخوف من الله وحده، وهو يمنع صاحبه من محارم الله، ومن معصيته، ومن كل ما يكون سببا في غضبه وسخطه وناره. قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٢). وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾(٣).

وفي الحديث: "إنَّ ناسًا كانوا يَتعبَّدونَ عِبادةً شَديدةً، فَنَهاهمُ النَّبيُّ ﷺ فقال: والله، إنِّي لأَعلَمُكم بالله ﷻ وأَخْشاكم له، وكان يقولُ: عليكم منَ العَملِ ما تُطيقونَ، فإنَّ اللهَ ﷻ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا"(٤).

والخوف المحمود هو المعتدل بلا إفراط ولا تفريط، فهو بمثابة السوط للبهيمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله). والخوف المذموم هو المفرط الذي يؤدي إلى اليأس والقنوط، ويقعد بصاحبه عن العمل.

❁❁❁

(١) سورة آل عمران الآية (١٧٣).

(٢) سورة البقرة الآية (٤٠).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٧٥).

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٧٨٥) عن عائشة أم المؤمنين ﵂.

(١) مظاهر الخوف:

١-**إمساك النفس والجوارح عن الذنوب والمعاصي** والآثام، وبغض المعصية، والبعد عنها، والفرار منها. وفي الحديث قال ﷺ: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزلَ، ألا إنَّ سِلعةَ اللهِ غاليةٌ، ألا إنَّ سِلعةَ اللهِ الجنَّةُ)(١).

فليس الخائف من بكي، إنما الخائف من ترك ما يقدر بعلم.

٢-**الانشغال بإصلاح النفس**، بالتزكية والتربية، والمعاهدة والمراقبة، والمجاهدة والمحاسبة، وفي الحديث قال ﷺ: "بادِروا بالأعمالِ سبعًا هل تنتظِرونَ إلا إلى فَقرٍ مُنسٍ أو غِنًى مُطغٍ أو مرضٍ مُفسدٍ أو هَرَمٍ مُفَنِّدٍ أو موتٍ مُجهِزٍ أو الدجَّالِ فشَرُّ غائبٍ يُنتَظَرُ أو الساعةِ فالساعةُ أَدهَى وأمَرُّ)(٢).

وقال عمر بن الخطّاب ﷺ لمّا طعن: (لو أنّ لي طلاع الأرض ذهبا؛ لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه)(٣).

وسئل الحسن البصري ﷺ: (إننا نصاحب أناسا يخوفوننا حتي تكاد قلوبنا تطير من صدورنا، فقال: لأن تصاحب إناسا يخوفونك حتي تأمن، خير لك من أن تصاحب أناسا يؤمنونك حتي تخاف).

أنا بين الرجاء والخوف منه ∴ واقف بين وعده والوعيد.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٤٥٠) إسناده حسن، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٣٠٦) حسن غريب، عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) سير ومناقب عمر بن الخطاب، محمد حامد محمد صـ ٢٤٩.

(٢) ثمرات الخوف:

١-سبب للتمكين في الأرض وعمارتها، وإقامة منهج الله فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ (١).

٢-دافع قوي للعمل الصالح، وانتظار الأجر من الله يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٢).

٣-سبب للأمان والسلامة من غضب الله وعذابه يوم القيامة، وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ فيما يَرويه عن ربِّه جلَّ وعلا قال: "وعزَّتي لا أجمَعُ على عبدي خوفَيْنِ وأمنَيْنِ، إذا خافني في الدُّنيا أمَّنْتُه يومَ القيامةِ، وإذا أمِنَني في الدُّنيا أخَفْتُه يومَ القيامةِ(٣).

وقال إبراهيم التّيميّ-رحمه الله-: (ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النّار؛ لأنّ أهل الجنّة حينما يدخلون الجنة يقولون: (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ

(١) سورة إبراهيم الآية (١٤).

(٢) سورة النور الآية (٣٧).

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان (٦٤٠) عن أبي هريرةﷺ.

عَنَّا الْحَزَنَ) وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنّة؛ لأنّهم حين يدخلون الجنة يقولون: (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ)(١).

٤-يدخل صاحبه في ظل عرش الرحمن، ويبعده عن غضب الله يوم القيامة وفي الحديث قال ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: منهم... ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَ"(٢).

٥-سبب لدخول الجنة والتنعم بما فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٣). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (٤).

❁❁❁

(٤) **الرجاء معناه**: الأمل في الخير، والارتياح، والثقة في سعة رحمة الله، والاستبشار بفضل المرجو، وهو لا يصلح إلا مع العمل الصالح واتباع هدي النبي ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ

(١) مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي ٤/ ١٠٥.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٤٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة الرحمن الآية (٤٦).

(٤) سورة البينة الآية (٨).

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (١). والرجاء حاد يحدوا بالقلوب، ويطير بها إلى الجنة، والأمل أكبر من الرجاء.

والفرق بين الرجاء والتمني: (التمني فيه كسل، ولا يدفع صاحبه إلى الاجتهاد والعمل، بينما الرجاء بذل الجهد الواسع في الأخذ بالأسباب، مع حسن التوكل علي الله).

والرجاء المذموم: هو من يرجو الرحمة بلا عمل، ومن يرجو الجنة بلا إيمان وتطبيق، وهو رجاء كاذب، وفيه صفة التمني والغرور.

والرجاء المحمود: هو الاجتهاد في الطاعة مع الرجاء والمغفرة والعفو والإحسان والجود والكرم من الله ﷻ. وفي الحديث عن جابر بن عبد الله قال سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بثَلَاثٍ يقولُ: "لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلَّا وَهو يُحْسِنُ باللهِ الظَّنَّ"(٢). أي تغليب الرجاء عند الموت. والخشية اجتماع الخوف والرجاء معا. وقد أجْمع العلماءُ على أنَّ الرَّجاء لا يصحُّ إلا مع العمل.

قال ابن القيم-رحمه الله-: (المحبة: ميلك للشيء بكُلِّيَّتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سرًّا وجهرًا، ثم علمك بتقصيرك في حبه)(٣).

❁❁❁

(١) سورة الكهف الآية (١١٠).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٧٧) عن جابر بن عبدالله ﷺ.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٣/ ١١.

(١) ثمرات الرجاء:

١-يكسب صاحبه العبودية الصادقة لله في التعامل معه، وأنه في حاجة إلى عفوه وصفحه ومغفرته.

٢-يبعد صاحبه عن غضب الله وسخطه وناره، ويقربه من محبة الله ورضوانه، قال بعض الصالحين: (لما علمت أن ربي يلي محاسبتي زال عني حزني؛ لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل).

٣-أن من رجى الله حسُن ظنه به ﷻ وحُسن الظن يرفع درجة العبد عند ربه ومولاه، إنَّ اللهَ ﷻ قال: "أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي، إنْ ظَنَّ بي خَيْرًا فلَه، وإنْ ظَنَّ شَرًّا فلَه)(١)

٤-يكسب صاحبه المداومة علي العمل الصالح، ومجاهدة النفس وتزكيتها.

❁❁❁

(٢) الجمع بين الخوف والرجاء في القرآن الكريم للتوازن والاعتدال:

قال ابن القيم-رحمه الله-: (القلب في سيره إلى الله ﷻبمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه؛ فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيِّدُ الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحين فهو عرضة لكل صائدٍ وكاسر)(٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٧٥٠٧) عن أبي هريرةﷺ.

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٨.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ (٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٥). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٦). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٧).

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٩٠).

(٢) سورة السجدة الآية (١٦).

(٣) سورة الإسراء الآية (٥٧).

(٤) سورة الزمر الآية (٩).

(٥) سورة الأعراف الآية (٥٦).

(٦) سورة الحجر الآيتان (٤٩-٥٠).

(٧) سورة المائدة الآية (٩٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٣). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ (٤). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (٥).

❁❁❁

(٣) عند الجمع بين الخوف والرجاء، فأيهما يقدم؟.

الخوف والرجاء كالجناحين بالنسبة للطائر، لاغني لأحدهما عن الآخر، ولابد من تحقيق التوازن حتي تستقيم حياة العبد، والأصل الاستواء والاعتدال، والتغليب عند الحاجة، مثل الماء والخبز، كلاهما مطلوب، ويفضل أخذهما معا

(١) سورة الانفطار الآيتان (١٣-١٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٦٧).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥٣).

(٤) سورة القارعة الآيات (٦-١١).

(٥) سورة المؤمنون الآيتان (٦٠-٦١).

عند الحاجة. وتغليب الخوف دون داع يفضي إلى القنوط واليأس، وتغليب الرجاء أيضا يوقع الإنسان في الكسل والتواكل.

والعبادة تكون بالخوف والحب والرجاء معا، وهذا هو المؤمن الموحد، يغلب الخوف طوال الحياة، ويغلب الرجاء عند قرب الوفاة. والخوف يكون في حالة الصحة، والرجاء في حالة المرض. ومن غلب الرجاء وقع في الأمن من مكر الله، ومن غلب الخوف وقع في القنوط من رحمة الله.

قال عمر بن الخطّاب ﷺ: (لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ، وَلَوْ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ النَّارَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ) (١).

فما ورد عن عمر ﷺ فهو تحقيق لمعنى الخوف والرجاء، فهو من شقين، يخاف مكر الله، ولا يقنط من رحمته.

وقال بعض العلماء: (ينبغي تغليب الرجاء عند فعل الطاعة، وتغليب الخوف عند إرادة المعصية).

لأنه إذا فعل الطاعة فقد أتى بموجب حسن الظن، فينبغي أن يغلب الرجاء وهو القبول، وإذا هم بالمعصية أن يغلب الخوف لئلا يقع في المعصية.

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٣) وفي سنده البابلتي المتروك، ورواه يحيى بن أبي كثير عن عمر ﷺ وهذا معضل.

وقال آخرون: ينبغي للصحيح أن يغلب جانب الخوف، وللمريض أن يغلب جانب الرجاء، لأن الصحيح إذا غلب جانب الخوف تجنب المعصية، والمريض إذا غلب جانب الرجاء لقي الله وهو يحسن الظن به.

وفي الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ دخل على شابٍّ وهو في الموتِ فقال: "كيف تجدُك؟ قال: واللهِ يا رسولَ اللهِ، إني أرجو اللهَ، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: لا يجتمعان في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطنِ، إلا أعطاه اللهُ ما يرجو، وآمنهُ مما يخافُ) (١).

وأما ما فيه المؤمن من نعم في الدنيا، فهو بالنسبة إلى ما أعده الله له في الجنة فهو سجين، وما فيه الكافر من ضنك وقلق مع ما أعده الله له في النار فهو في جنة.

وفي الحديث قال ﷺ: "لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ العُقُوبَةِ، ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، ولو يَعْلَمُ الكَافِرُ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، ما قَنَطَ مِن جَنَّتِهِ أَحَدٌ"(٢).

فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذين يعبدونه بين الخوف والرجاء.

وأن يمن علينا بفضله وكرمه،

ورحمته ومغفرته في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٨٩) حسن غريب عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٧٥٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(١١٧) الأمل والتفاؤل في حياة المسلم.

١-كل الناس في بلاء واختبار.

٢-الإسلام يحرم اليأس والقنوط والانتحار.

٣-نصوص وأحداث تصنيع الأمل والتفاؤل.

❁❁❁

١-كل الناس في بلاء واختبار:

كل الناس في حالة بلاء واختبار وامتحان، المؤمن والكافر، الطائع والعاصي، الحر والسجين، الرجل والمرآة، الكبير والصغير، ويبتلى الإنسان بالخير والشر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والشبع والجوع، والأولاد والعقم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١).

وأما عن آيات الابتلاء في القرآن الكريم فتأتي متنوعة، أحيانا نذكر الهدف من الابتلاء، وأحيانا تذكر أصناف وألوان وصور الابتلاء، أما من الهدف من الابتلاء فمعرفة المجاهدين والصابرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ (٢).

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٣٥).

(٢) سورة محمد الآية (٣١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (١).

وأحيانا تأتي الآية لتؤكد أن الإنسان سوف يصيبه ما أصاب السابقين من صعوبات مثل البأساء والضراء، والمخاوف التي تزلزل الإنسان، واستبطاء النصر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (٢).

وأما من أصناف وألوان وصور الابتلاء، فكثيرة، فقد يكون أحد هذه الأشياء التي ذكرت في الآية أو في بعضها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة العنكبوت الآيتان (٢–٣).

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٤).

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٥).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٨٦).

فالحياة كلها من أولها لآخرها مبنية على الابتلاء، بل هو الغرض الأساسي من خلق الله للإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾ (٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ (٣).

فإذا ظن الإنسان أنه سوف يعيش في الحياة دون منغصات، أو ما يعكر صفوه، ويكدر ماءه، فقد فهم الحياة خطأ.

فالحياة فترة من الزمن يعيشها الإنسان فوق الأرض، يختبر فيها في كل شيء ثم يموت، ويحاسب على ما عمل في حياته، ثم يكافأ بالجنة إذا أحسن، ويعاقب بالنار إذا أساء.

وأما من يتعامل مع الحياة على أنها جنة للمتعة فقط، دون ابتلاءات فهو قد فهم الحياة خطأ، ومثل هذا سوف يتعب، ويتعب من حوله،

---

(١) سورة الإنسان الآية (٢).

(٢) سورة الكهف الآية (٧).

(٣) سورة الملك الآية (٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (١).

والإنسان الذي لم يفهم الحياة، أو لم يستطع أن يتحمل البلاء، يفكر في أشياء أخرى، مثل اليأس والقنوط، أو الاكتئاب، أو الانتحار.

❁❁❁

٢-الإسلام يحرم اليأس والقنوط والاكتئاب والانتحار:

الإنسان يمر في الحياة بمراحل قوة وضعف، وهمة وفتور، وعزيمة ورخصة، ومن ثم فهو يحتاج دائما إلى تذكير بالمواعظ التي تقوي همَّته، وترفع عزيمته، وتدفع به إلى التقدم والأمام، ويحتاج إلى تثبت عند النوازل والشدائد، والإنسان أمام هذه الحالة أمامه اختيارات، منها ما هو خطأ وحرام، ومنها ما هو صواب، بل أوجبه الإسلام.

فأما اليأس والقنوط من رحمة الله عند البلاء والمحن فهو حرام، فهذا يعقوب، اختبر في ولده، وأحب أبنائه إلى قلبه، بأن غيب عنه فترة طويلة من الزمن، ولديه الأمل والرجاء في عودته، وحينما ذهب إخوته لأخذ الميرة والغلال منه في فترة المجاعة، ثم حجز أخاه عنده،

(١) سورة هود الآيتان (٩-١٠).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (١).

فعاش على أمل، ولم ييأس، وأوصى أولاده بعدم اليأس، واعتبر أن اليأس طريق الكفر، وكذلك إبراهيم حينما جاءته البشارة بغلام عليم، فتعجب من هذه البشارة، وقال بل تبشرونني بكبر سنيٍّ، فأي بشارة هذه، فقال بشرناك بالحق الذي جاء من عند الله، ولا تكن من القانطين مما عند الله من عطاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢).

فالقنوط طريق الضلال، وقد تحقق له ما بشرته به الملائكة من غلام عليم.

وأما الاكتئاب فهو مرض نفساني خطير، لا يسعى الإنسان إليه، ولا أن يترك نفسه للوساوس والأوهام، ولا أن يمتنع عن الطعام والشراب والكلام، فكل هذه مظاهر لهذا المرض، الذي يجعل المصاب يحتاج إلى طبيب وعلاج فترة طويلة، حتى يخرج مما أصابه، وما نزل به.

وأما الانتحار فقد يفكر فيه بعض المصابين بأزمة نفسية، أو بلاء شديد، أو مرض مؤلم، لم يصبر على تبعاته، وهو حرام حرمه الإسلام، لأنه اعتداء على نفس صاحبها لم يملكها، فالنفس البشرية ملك لله الذي خلقها، وهو الذي يشرع لها،

---

(١) سورة يوسف الآية (٨٧).

(٢) سورة الحجر الآية (٥٦).

ويدبر أمرها، فحينما يتعدى الإنسان على ما ليس له فقد ظلم نفسه، ويعاقب على ذلك يوم القيامة، بنفس الطريقة والألم الذي أحسه وقت الانتحار، وفي الحديث قال ﷺ: "ومَن قَتَلَ نَفْسَهُ بحَدِيدَةٍ عُذِّبَ به في نَارِ جَهَنَّمَ"(١).

وفي أُحد كان هناك رجل يسمى (قزمان) قاتل قتالا شديدا، ثم أصيب بجراحة شديدة، فلم يستطع أن يتحمل الألم فقتل نفسه، فقال النبي ﷺ هو من أهل النار.ومن هنا نجد أن الإسلام حرم الانتحار بجميع صوره وأشكاله وألوانه.

❁❁❁

٣-نصوص وأحداث تصنع الأمل وتبعث التفاؤل:

لم يبق أمام الإنسان سوى الصبر على النوازل، وتحمل مرارته ومرارتها، وأن يكون لديه الشعور القوى العميق بأن هذا الأمر لن يدوم طويلا، ولن يستمر كثيرا، والحياة تقلبات، يوم لك ويوم عليك، ويوم تُساء ويوم تُسر، ويوم عطاء ويوم منع، ويوم سعادة ويوم شاق ومصاعب.

والإنسان القوي هو الذي يحمل شحنة قوية من الإيمان والأمل والتفاؤل، وخاصة عند اشتداد المحن وقوتها، ونصوص القرآن والسنة وأحداث التاريخ تشهد بذلك.

---

(١)الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٣٦٣) عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

فأما القرآن فبين للنبي ﷺ أن ما نزل به ليس جديدا، وأنه نزل بالسابقين وأنهم صبروا على التكذيب والايذاء حتى جاءهم النصر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١).

فالآية أصل كبير في الصبر على تكاليف الدعوة وتبعاتها، فالابتلاء سنة الله في الدعوات، ويقابله الصبر والثبات، فمن كان أصبر كان أجدر بالنصر، فالطريق طويل، والتكاليف عظيمة، والتجارب شاقة، وبالصبر تكون حسن العاقبة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ۚ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (٢).

والمؤمن مرتبط بموكب الإيمان، وأتباع الرسل والأنبياء، فالصبر على تكاليف الدعوة أمر واحد على مدار الزمان كله.

أن الله وعد المرسلين وأتباعهم بالنصر على الأعداء والخصوم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (٣). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ

---

(١) سورة الأنعام الآية (٣٤).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٤٦).

(٣) سورة الصافات الآيات (١٧١–١٧٣).

﴿ ٥١ ﴾ ﴿ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٠٣ ﴾ (٢).

بل إن الله ألزم نصره لأهل الإيمان، وهذا وعد من الله صادق لا محالة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٤٧ ﴾ (٣).

إذا اشتد البلاء وزاد كان النصر أقرب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١١٠ ﴾ (٤).

والله وعد المؤمنين بالتمكين في الأرض، ولن يأتي تمكين إلا بعد بلاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ (٥).

---

(١) سورة غافر الآية (٥١).

(٢) سورة يونس الآية (١٠٣).

(٣) سورة الروم الآية (٤٧).

(٤) سورة يوسف الآية (١١٠).

(٥) سورة النور الآية (٥٥).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة التوبة: ٣٣ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الفتح: ٢٨. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١).

والقرآن كله بشير ونذير، ووعد وعيد، وهذا يدفع الأمل والتفاؤل في قلب المؤمن، ويدفع الكافر إلى إعمال العقل، وتشغيل الذهن والفكر في مآلات الأمور.

وأما في السنة فقد جاءت عدة أحاديث تدعو إلى التفاؤل منها:

-"أنَّ النَّبيَّ ﷺدَخَلَ علَى أعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وكانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا دَخَلَ علَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: لا بَأْسَ، طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ، فَقَالَ له: لا بَأْسَ، طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: قُلتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هي حُمَّى تَفُورُ-أوْ تَثُورُ-علَى شَيخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: فَنَعَمْ إذنْ) (٢). فالنبي ﷺ تفاءل رغم مرض الرجل وشدة الحمى وكبر سنه، لكن الرجل تشاءم فقال له النبي ﷺ بل هو كذلك، وقد كان ما قاله الرجل وصدقه الرسول ﷺ.

(١) سورة الصف الآية (٩).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٦١٦) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

وفي الحديث قال ﷺ: "إنْ قامَتِ الساعةُ وفي يدِ أحدِكمْ فَسِيلةٌ، فإنِ استطاعَ أنْ لا تقومَ حتى يَغرِسَها فلْيغرِسْهَا) ([1]).

فهذا يبعث الأمل في النفوس رغم أن بداية أحداث القيامة تقع، ومع ذلك يعلم النبي ﷺ الناس أنه لا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس.

وقال ابن القيم رحمه الله: في قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) فالعسر-وإن تكرر مرتين-فتكرر بلفظ المعرفة، فهو واحد، واليسر تكرر بلفظ النكرة، فهو يسران، فالعسر محفوف بيسرين، يسر قبله، ويسر بعده، فلن يغلب عسر يسرين) ([2]).

و النبي ﷺ كان يغلب التيسير والتبشير على التعسير والتنفير، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وكان أكثر الناس تبشيرا وتفاؤلا.

وفي الحكمة: (تفاءلوا بالخير تجدوه) فالمتفائل يدرك كثيرا من المتشائم، والحياة انعكاس لنفسيه الإنسان فالسعيد يرى الوجود سعيدا وهكذا كان النبي ﷺ يغير الأسماء القبيحة أو التي تميل إلى الشدة إلى أسماء حسنة ولينة، فغير اسم رجل من زحم إلى بشر، وغير الحسن والحسين، من حرب إلى الحسن والحسين.

---

(١) الحديث ذكره الألباني في صحيح الجامع (١٤٢٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ١٥٥.

وتاريخ الأنبياء أكبر دليل على التفاؤل والأمل والفرج من الضيق، والمخرج من كل شدة.

فإبراهيم بشره الله بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وجعل إسماعيل نبيا، وجعل النار بردا وسلاما عليه، فكلها مبشرات وبشريات تبعث الأمل والتفاؤل فيما عند الله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ (١).

ويونس عليه السلام نجاه الله من الغم، فكان في ظلمات ثلاث، وأنقذه الله من الموت والهلاك في باطن الحوت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (٢). وأيوب عليه السلام شفاه الله من المرض بعد أن استمر معه ثمانية عشر عاما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (٣). وزكريا عليه السلام أصلح الله له زوجه، ووهب له يحيى عليه السلام على كبر وجعله نبيا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة هود الآية (٧١).

(٢) سورة الصافات الآية (١٤٣).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٨٤).

(٤) سورة الأنبياء الآية (٨٩).

ومريم أعطاها الله نعما كثيرة وهي في المحراب، وهي في مرحلة المخاض، وهي في مواجهة قومها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ (٢). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِ ۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣).

ويوسف عليه السلام بشره الله بالتمكين وهو في أول الطريق، وقبل أن يتعرض للبلاء من امرأة العزيز، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٤).

وموسى عليه السلام بشر الله بنى إسرائيل بالنصر والتمكين وهو طفل رضيع، وجاء النصر والتمكين بعد أربعين عاما حينما أرسله الله إلى فرعون،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

(١) سورة آل عمران الآية (٣٧).

(٢) سورة مريم الآية (٢٥).

(٣) سورة مريم الآيتان (٢٩–٣٠).

(٤) سورة يوسف الآية (٢١).

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (١).

ونوح عليه السلام بشره الله بالنصر على قومه الكافرين، الذي أصروا على الكفر، قبل أن يصنع السفينة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٢).

وفي العصر النبوي في مكة قال النبي ﷺ لخباب وآثار التعذيب على ظهره ويطلب منه الدعاء بالنصر فقال له "واللَّهَّ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمْر، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلَّا اللَّهَّ، والذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ) (٣).

وفي الأحزاب بشر النبي ﷺ الصحابة بالفتوحات وهو يضرب بمعوله الصخرة الكبيرة فتفتت فبشرهم بفتح الشام وفارس واليمن وغيرها، وفي السيرة قال ﷺ: "بسم الله والله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الآن، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني).

---

(١) سورة القصص الآيتان (٥–٦).

(٢) سورة هود الآية (٣٧).

(٣)الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٩٤٣) عن خباب بن الأرت رضي الله عنه.

وفي بدر قبل بداية المعركة بشر الله نبيه والصحابة بالنصر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ (١).

انتصارات الصحابة على أعتى دولتين في النظام العالمي القديم، وحلت دولة الخلافة الإسلامية مكانها في أقل من نصف قرمن الزمان.

انتصار المسلمين على الصليبيين في القرن الرابع الهجري وعلى التتار في القرن السادس الهجرين فتصدى المسلمون لجميع الحملات الصليبية، والهجمات التترية، وهم أقل عددا وعتادا. والحديث الذي يبعث الأمل والتفاؤل في جسد الأمة، ويبعث الهمة والعزيمة في قلبها ونفسها قال الرسولﷺ: "لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي قائِمَةً بأَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، أوْ خالَفَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ وهُمْ ظاهِرُونَ علَى النَّاسِ"(٢).

نسأل الله أن يرزقنا الأمل والتفاؤل،

وأن نكون من المستبشرين برحمته ومغفرته ورضوانه.

❁❁❁

(١) سورة الأنفال الآية (١٢).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيانرضي الله عنه.

(١١٨) نصائح مهمة للمقبلين على الزواج.

نصائح مهمة للمقبلين على الزواج أو المتزوجين الجدد.

١-استحضار النية، بأن الهدف من الزواج العفة والطهارة والنقاء، وغض البصر، وتحصين الفرج، وقضاء الوطر، ونيل اللذة، وتحصيل الولد، وعمارة الكون، وتحقيق الاستخلاف في الأرض.

٢-الزواج عبادة يتعبد بها الطرفان الي الله؛ بقصد نيل الاجر من الله، باتباع الطرفين الحلال في قضاء الغريزة، وفي الحديث: "وفي بُضْعِ أَحَدِكُم صدقةٌ"(١).

٣-يفضل من الطرفين معا عمل فحوص طبية قبل الزواج، للتأكد من خلوها من الأمراض المعدية، حتي لا يكون أحدهما سببا في إيذاء الآخر، ويمكن معالجتها قبل الزواج.

٤-الإسلام شرع الخطبة من أجل أن يتعرف كل من الطرفين علي الآخر، والميل إليه، والاقتناع به، والشعور بالراحة، وذلك كله يتم بالطرق الشرعية، في وجود المحارم، وعدم الخلوة.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

٥-مطلوب المزيد من التعارف بعد الخطبة، لتقارب الأفكار والعقول والأرواح؛ حتي تبدا الحياة الزوجية بالوضوح والراحة، والاستقرار والنجاح.

٦-بعد اقتناع الطرفين بالأخر يمكن إقامة العقد، وإشهاره بين الناس، وفي الحديث النبوي الشريف: "أعلنوا هذا النِّكاحَ واجعلوهُ في المساجِدِ واضربوا عليهِ بالدُّفوفِ"(١).

٧-التثقف في ما يتعلق بليلة البناء؛ من خلال كتب الفقه وباب الزواج، بحيث تكون هادئة، تبدأ بالتفاهم والتقارب والود، ويستحب اتباع السنة في ذلك، فيستحب الوضوء، وصلاة ركعتين نافلة، ويضع يديه علي جبينها، ويدعو بالدعاء المأثور.

٨-يستحب افتتاح الحياة الزوجية بقراءة الأذكار، وما تيسر من القرآن، والدعاء بالهداية والصلاح، وتحصيل الذرية الصالحة النافعة.

٩-عدم التعجل في قضاء الوطر، والاسترخاء في الحديث لمزيد من التفاهم والتقارب، والحب والمودة بين الطرفين في بداية حياة جديدة.

١٠-يمكن استخدام بعض الكريمات، مثل المخدر الموضعي؛ لتسهيل عملية الجماع؛ حتي لا يؤذي أحد الطرفين الآخر.

---

(١)الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١٠٨٩) حديث حسن، عن أم المؤمنين عائشة ﵂.

١١-الجماع لا يحتاج الي تعليم أو تدريب، وإنما يمارس بالفطرة، ويتطور ويتقدم مع الوقت والتجربة والمعايشة.

١٢-البعد عن مشاهدة الأفلام الجنسية، أو المشروبات الكحولية، فكل ذلك حرام، وضررها أكثر من نفعها، وكذا البعد عن تناول الأدوية المحفزة، والمنشطة للغريزة الجنسية.

١٣-عدم تقليد العوام فيما يتعلق بنشر آثار فض غشاء البكارة؛ فهذا أمر يخص الزوجين فقط، وليس بشرط أن يكون ذلك في أول يوم من أيام البناء.

١٤-كل ما في المرأة حلال للرجل، يجوز له أن يتمتع به، باستثناء الدبر، وفترة الحيض والنفاس، وأوقات أداء مناسك الحج، وأداء العمرة، ونهار رمضان.

١٥-يفضل التعجيل بالغسل بعد الجماع، أو الوضوء عند المعاودة؛ لتجديد النشاط، ولا يجوز مس المصحف أو حمله، أو القراءة فيه، أثناء فترة الجنابة، إلي أن يتم الاغتسال.

١٦-في الأيام الأولي من الزواج يفضل تناول الأطعمة البحرية، واللحوم، والكبدة، والبيض، وعسل النحل، وغذاء الملكات، والخضراوات

والفاكهة، والمكسرات، والأعشاب الطبية، ويفضل ممارسة أنواع متعددة من الرياضة، والاعتناء بالنظافة الشخصية إلى أقصى درجة.

١٧-الاعتدال في ممارسة الجماع، وعدم الإسراف في ذلك، ومن فوائده الراحة النفسية، والاسترخاء، والنوم العميق، وحرق السعرات الحرارية الزائدة في الجسم.

١٨-الحياة الزوجية مسئولية مشتركة بين الطرفين، فليحرص كل فرد علي إسعاد الطرف الأخر، والتركيز علي حسن العشرة، وحفظ الجميل، والإحسان في التعامل، وغض الطرف عن الهفوات، والتضحية ببعض الأمور الشخصية؛ من أجل إسعاد الطرف الأخر.

١٩-مطلوب من الزوجين حسن التعامل مع أقارب الزوج والزوجة، خاصة من الوالدين، ثم التعامل حسب درجة القرابة، ومراعاة الضوابط الشرعية مع غير المحارم، وعدم التساهل في ذلك.

٢٠-التشاور والمشاورة من آداب القرآن والسنة، ويستحب تطبيقه في الأمور المشتركة، مثل كيفية الانفاق، وميزانية البيت، واختيار اسم المولود، ومدة الرضاعة، ومتى يكون الفطام؟ وعند حدوث بعض المشكلات الزوجية، فلابد من الحوار داخل البيت، وعدم خروج المشكلة خارج بيت الزوجية على الإطلاق.

❁❁❁

وصية الإمام أحمد حنبل لابنه يوم زواجه:

أي بني: (إنّك لن تنال السعادة في بيتك إلا بعشر خصال تمنحها لزوجك، فاحفظها عني واحرص عليها:

أما الأولى والثانية: فإنّ النّساء يحببن الدلال، ويحببن التصريح بالحب، فلا تبخل على زوجتك بذلك، فإن بخلت جعلت بينك وبينها حجابًا من الجفوة، ونقصًا في المودة.

وأما الثالثة: فإن النساء يكرهنَ الرجل الشديد الحازم، ويستخدمن الرجل الضعيف اللين، فاجعل لكل صفة مكانها، فإنه أدعى للحب، وأجلب للطمأنينة.

وأما الرابعة: فإنّ النساء يُحببن من الزوج ما يحب الزوج منهنّ، من طيب الكلام، وحسن المنظر، ونظافة الثياب، وطيب الرائحة، فكن في كل أحوالك كذلك.

أما الخامسة: فإنّ البيت مملكة الأنثى، وفيه تشعر أنّها متربعة على عرشها، وأنها سيدة فيه، فإيّاك أن تهدم هذه المملكة التي تعيشها، وإياك أن تحاول أن تزيحها عن عرشها هذا، فإنّك إن فعلت نازعتها ملكها، وليس لملكٍ أشدّ عداوةً ممن ينازعه ملكه، وإن أظهر له غير ذلك.

أما السادسة: فإنّ المرأة تحب أن تكسب زوجها ولا تخسر أهلها، فإيّاك أن تجعل نفسك مع أهلها في ميزان واحد، فإمّا أنت وإمّا أهلها، فهي وإن اختارتك على أهلها، فإنّها ستبقى في كمدٍ، تُنقل عداوته إلى حياتك اليومية.

والسابعة: إنّ المرأة خُلِقت مِن ضِلعٍ أعوج، وهذا سرّ الجمال فيها، وسرُّ الجذب إليها، وليس هذا عيبًا فيها (فالحاجب زيّنه العِوَجُ) فلا تحمل عليها إن هي أخطأت حملةً لا هوادة فيها،تحاول تقييم المعوج فتكسرها، وكسرها طلاقها، ولا تتركها إن هي أخطأت حتى يزداد اعوجاجها، وتتقوقع على نفسها، فلا تلين لك بعد ذلك، ولا تسمع إليك، ولكن كن دائما معها بين بين.

أما الثامنة: فإنّ النّساء جُبلن على كُفر العشير، وجُحدان المعروف، فإن أحسنت لإحداهنّ دهرًا ثم أسأت إليها مرة قالت: ما وجدت منك خيرًا قط، فلا يحملنّك هذا الخلق على أن تكرهها وتنفر منها، فإنّك إن كرهت منها هذا الخلق، رضيت منها غيره.

أما التاسعة: فإنّ المرأة تمر بحالات من الضعف الجسدي، والتعب النفسي، حتى إنّ الله ﷻ أسقط عنها مجموعةً من الفرائض التي افترضها في هذه الحالات، فقد أسقط عنها الصلاة نهائيًا في هذه الحالات، وأنسأ لها الصيام خلالها، حتى تعود صحتها ويعتدل مزاجها، فكن معها في هذه الأحوال ربانيا، كماخفف الله ﷻ عنها فرائضه، أن تخفف عنها طلباتك وأوامرك.

أما العاشرة: فاعلم أن المرأة أسيرة عندك، فارحم أسرها، وتجاوز عن ضعفها، تكن لك خير متاع، وخير شريك...).

❁❁❁

ومن الوصايا العشر المشهورة التي قالتها الأعرابية لابنتها المتزوجة حديثا:

(فكوني له أمة يكن لك عبدا، واصحبيه بالقناعة، وعاشريه بحسن السمع والطاعة، ولا تعصي له أمرا، ولا تفشي له سرا، وكوني أشد الناس له إعظاما.

واعلمي أنك لا تصلين إلي ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فالرضا بالقناعة، وحسن السمع له بالطاعة، والتفقد لمواقع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح، والاحتراز لماله وحشمه وعياله.

فلا تعصي له أمرا، ولا تفشي له سرا، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

إياك والفرح بين يديه إذا كان محزونا، والحزن بين يديه إذا كان فرحا).

❁❁❁

(١١٩) من الضوابط شرعية للمرأة المسلمة.

١. الاختلاط بين الجنسين.

٢. التبرج والزينة.

٣. ثياب المرأة المسلمة.

٤. الخلوة بالأجنبية.

٥. السلام والمصافحة.

٦. صوت المرأة.

❁❁❁

١-الاختلاط بين الجنسين:

الاختلاط بين الرجال والنساء فى ذاته ليس محرما، بل هو جائز، خاصةً إذا كان للضرورات الأساسية في الحياة من تحصيل علم نافع للحصول على شهادة، أو الذهاب للأسواق من أجل البيع والشراء.

ولايعنى ذلك أن تذوب الحدود بينهما، وتنسى القيود الشرعية الضابطة لكل لقاء، ولا بد لذلك من ضوابط منها:

الاختلاط بين الطرفين أمر فطرى، لا يمكن منعه، ولم يرد فى الدين الإسلامى الحنيف ما يمنعه بإطلاق، وإنما وضع له ضوابط وهى:

١-منع الخلوة: (وهى وجود رجل وامرأة أجنبية ليست من المحارم فى موضع لا يراهما فيه أحد).

فالحذر من الخلوة فلا يجوز أن يختلى رجل بامرأة وليس معهما محرم. وفي الحديث يقول ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يخلون بامرأة إلا ومعها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان"(١).

٢-توقى التماس: (وهو التلاصق والتراص بالأبدان بين الرجل والمرأة مخافة الإثارة والفتنة.

٣-تجنب التبرج: (وهو التكشف عما أمر الله بسترهمن البدن والجمهور على أن جمبع بدن المرأة عورة ما عدا الوجه والكفين

٤-التزام الحشمة فى الحديث والحركة: فلا تتصنع فى الكلام والحركات ما يؤدى إلى إثارة الغرائز، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾ (٢).

٥-أن يكون موضوع اللقاء جدى: سواء كان علمى أو ثقافى، أو اجتماعي.

٦-هذا الضوابط لا فرق فيها بين المسلمات وغير المسلمات على أن الاثارة محتملة فى الحالتين، والانفصال فى المجلس الواحد فى المقاعد بين الرجال والنساء

(١) الحديث ذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ٢٧٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٢).

هو الأفضل، والالتزام بغض البصر من الطرفين، فلا ينظر أحدهما بشهوة أو إلى عورة أو يطيل النظر فى غير حاجة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١).

-الالتزام من جانب المرأة باللباس الشرعى المحتشم الذى يغطى البدن ولا يصف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٢).

فالزى يميز المرأة العفيفة الجادة، عن المرأة المستهترة، فلا يتعرض لها أحد بأذى.

التزام بأداب المرأة فى كل شئ وخصوصا فى التعامل مع الرجال، فى الكلام يكون بعيدا عن الإغراء والإثارة، وفى المشى يكون بعيدا عن لفت الأنظار، وفى الحركة فلا تتكسر ولا تتمايل فلا تكون من النساء المميلات المائلات، وأن تتجنب كل ما يبعث على الإثارة من الروائح والعطور وألوان الزينة المنزلية.

أن يكون اللقاء فى حدود ما تفرضه الحاجة والضرورة دون توسع فيعرضها للقيل والقال، أو يعطلها عن واجبها المقدس فى رعاية البيت وتربية الأجيال.

❁❁❁

(١) سورة النور الآية (٣٠).

(٢) سورة النور الآية (٣١).

٢-التبرج والزينة:

التبرج: هو التكشف وإظهار الزينة والمحاسن للرجال الأجانب، وهو كان معروفا فى الجاهلية قبل الإسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (١).

قال ابن كثير: (كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة أذنها، فأمر الله المؤمنات أن يسترن في هيأتهن وأحوالهن)(٢). وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ ﴾ (٣).

فنهى الله المؤمنات عن كشف ما خفى من الزينة، وأباح لهن كشف ما ظهر منها. هناك الزينة الباطنة والظاهرة، والظاهرة هى ما تتجمل به المرأة من ثياب وكحل وخضاب اليدين والخاتم، لأن ستر ذلك فيه حرج شديد ومشقة بالغة، ومنه الوجه والكفان

والزينة الخفية مثل السوار فى المعصم، والقرط فى الأذن، والقلادة فى العنق، والوشاح فى الصدر فهذا كله لا يحل كشفه لرجل أجنبى.

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٣.

(٣) سورة النور الآية (٣١).

فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما، أحدهما... ونساء كاسيات عاريات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[1].

والمكياج والمساحيق هو من امتهان المرأة لنفسها لتخرج بمظهر الجميلة الفاتنة ليشاهدها الناس.

وقد نهى الإسلام عن الغلو فى الزينة إلى الحد الذى يفضى إلى تغيير خلق الله تعالى (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله)

ومن صور الزينة المنهى عنها:

١-النهى عن الوشم وتحديد الأسنان (التفلج).

٢-النهى عن ترقيق الحواجب (التنمص).

٣-النهى عن وصل الشعر (الباروكة).

أولا: الوشم وتحديد الأسنان (التفلج):

الوشم: هو ما يدق من رسوم في الوجه واليدين، ووشر الأسنان أي تحديدها وتقصيرها.

والتفلج: هو انفراج ما بين الأسنان، فأما تحريم الإسلام للوشم؛ لأن فيه تشويها للوجه واليدين بهذا اللون الأزرق؛ كما أن فيه ألما وتعذيبا لبدن الموشوم، وفيه تغيير لخلق الله وهذا ما جلب اللعنة من الرسول ﷺ على الواشمة

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢١٢٨). عن أبي هريرة ﷺ.

والمستوشمة حيث قال: "لعن الرسول ﷺ الواشمة والمستوشمة، والواشرة المستوشرة"([1]).

وأما الوشر والتفلج فهو تدليس على الناس، وغلو في الزينة يأباه الإسلام؛ لأن من النساء من يخلقها الله كذلك، ومنهن من ليست كذلك فتلجأ إلى برد ما بين الأسنان المتلاصقة خلقة؛ لتصير متفلجة صناعة، وقد نهى عن ذلك النبي ﷺ فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لعن الله المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله"([2]).

ويدخل في هذا التحريم جراحات التجميل التي ليست لها ضرورة، إلا أن يكون الإسراف في العناية بالمظهر، والاهتمام بالصورة الخارجية والجسد على حساب الحقيقة الباطنية والروح.

وصل الشعر: الباروكة سواء كان حقيقيا أم صناعيا،لأنه لون من الغش والتزييف والخداع وفيه تغيير لخلق الله، ولم يرخص الإسلام لمن تساقط شعرها نتيجة لمرض أن تصل شعرها ولو كانت عروسا ففى البخاري عن عائشة أن جارية من الأنصار تزوجت ومرضت فتمعط شعرها فأرادوا أن يصلوها فسألوا الرسول ﷺ فقال: "لَعَنَ اللهُ الواصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ، والواشِمَةَ والمُسْتَوْشِمَةَ"(٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢١٢٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢١٢٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٩٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

-يجوز لمن كان فى أسنانها زوائد تؤذيها أن تزيل ذلك لأن الحديث يقول: والمتفلجات للحسن، ويجوز نتف شعر الوجه والجبين ما عدا الحاجبين ولو كان للزواج. ولا يجوز عمليات التجميل التى ليست لها ضرورة إلا الإسراف فى العناية بالمظهر والاهتمام بالصورة الخارجية.

-وصل الشعر بالشعر متفق على حرمته فى داخل البيت وخارجه وأما بغير الشعر فمختلف فيه، ويرى الامام أحمد جوازه لما يرى فيه من تحسين المرأة لزوجها فى غير مضرة ولا مخالفة، ولأنه ليس بوصل وإنما هو للتجميل.

-المكياج حلال للزوج فى المنزل، حرام على غيره خارج المنزل، ولا يستحب أن تظهر به المرأة أمام المحارم.

-ذهاب المرأة للكوافيرالرجال حرام، لأنه يمس شيئا منها بيده وهو ليس زوجا ولا من المحارم وأحيانا ما يحدث خلوة وهى حرام أيضا وفى الحديث: (لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) واليهود هم مصدر هذه الرذائل وأساسها وهم المروجون لها أيضا.

-المانوكير: هو وضع بعض الأدهنة على أظافر اليدين أو القدمين، وهو حائل يحول بين وصول ماء الوضوء إلى البشرة، ولهذا لا يصح معه الوضوء، ولا تقام مع استمراره صلاه، والمرأة المسلمة التى تهرع إلى صلاتها كل يوم خمس مرات متطهرة متوضئة لا يمكن أن تجد متسعا لهذا اللون من الزينة، لأنه بطبيعته

يتنافى مع إقامة هذه الفريضة اليومية المقدسة، فمن كانت لا تبالى بالصلاة فليس بعد ترك الصلاة من ذنب.

❁❁❁

٣-ثياب المرأة:

إن الله ﷻ أمر نساء المسلمين أن يسترن عن خروجهن بجلباب واسع سابغ كاسٍ، وذلك ليتميزن به عمن سواهن من الفاسقات وغير المسلمات، وفى هذا أمر الله نبيه أن يصدع فيهن وفى نساءه وبناته بهذا البلاغ المبين. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾[1].

شروط الثياب:

وهناك عدة شروط يلزم توافرها في صفة ثياب المرأة المسلمة:

١-أن يكون الثوب مستوعبا لجميع البدن، لقوله تعالى: (**يدنين عليهن من جلابيبهن**).

٢-أن لا يكون الثوب زينة في نفسه، أو مبهرجا ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار؛ لقوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها).

٣- أن لا يكون الثوب خفيفا يشف عما تحته.

٤- أن يكون الثوب واسعا فضفاضا غير ضيق فيجسم شيئا من جسمها.

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٥٩).

٥- أن لا يكون الثوب معطرا مطيبا لقوله ﷺ "أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية"(١).

٦- أن لا يشبه لباس الرجال، لما رواه أبو هريرة-رضى الله عنه-قال: "لعن النبي ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل"(٢).

٧- أن لا يشبه لباس الكافرات لقوله ﷺ "من تشبه بقوم فهو منهم"(٣).

٨- أن لا يكون لباس شهرة، أي يقصد به الاشتهار بين الناس لقوله ﷺ **"من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مزلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه نار"**(٤).

❁❁❁

٤-الخلوة بالأجنبية:

الخلوة هي: انفراد الرجل بالمرأة الأجنبية في مكان ما بحيث لا يوجد غيرهما، أو يغلق عليهما باب واحد، وهي محرمة ولو لم يحصل بينهما شيء ما، وذلك سدا للذرائع، وتحصينا لهما من وساوس السوء وهواجس الشر، التي من شأنها أن تتحرك في صدريهما عند التقاء فحولة الرجل بأنوثة المرأة ولا ثالث بينهما، وقد رهَّب النبي ﷺ من هذه الخلوة بأشد التحذير.

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٩٦. إسناده حسن، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٠٩٨). صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٠٣١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٠٢٩) إسناده حسن، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

فعن عقبة بن عامر قال: قالﷺ: "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت الحمو[١]؟ فقال ﷺ: الحمو الموت"[٢].

قال الإمام النووي في المراد من الحديث: "المراد أن الخلوة بقريب الزوج أكثر من الخلوة بغيره، والشر يُتوقع منه أكثر من غيره، والفتنة به أمكن لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير نكير، بخلاف الأجنبي"[٣].

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحا أو ذا محرم"[٤].

وهذا يدل على أنه لا يجوز لأحد الخلوة مع من تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله، وأحصن لنفسه، وأتم لعصمته.

وهذا الأدب الإسلامي يحفظ للرجل والمرأة العرض والكرامة، وبه يكون الإنسان مطمئنا على بيته بعيدا عن الشكوك والظنون، وقد انعدم هذا الأدب الرفيع في بعض الأوساط، فشاعت الخيانات، وانعدمت الثقة، وتفككت الأسر، واضطربت الحياة العائلية.

ولا غضاضة على أي مسلم ممن ليس بمحرم أن يرجع ولا يدخل إذا لم يجد بالبيت إلا المرأة، امتثالا لأمر الله ﷻ واتباعا لهدي رسوله ﷺ؛ وتجنبا من الوقوع في الشبهات

---

(١) الحمو: أقارب الزوج من غير المحارم، ممن يحل للمرأة الزواج منهم إذا لم تكن متزوجة.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٢٣٢) عن عقبة بن عامر ﷺ.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٤/ ١٥٤.

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢١٧١) عن جابر بن عبد اللهﷺ.

والظنون، قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[1].

❁❁❁

٥-السلام والمصافحة:

لقد نهى الإسلام عن مصافحة المرأة الأجنبية: وهي التي يحل للإنسان الزواج منها، والحكمة في ذلك النهي: أن المرأة أضر فتنة على الرجل كما قال رسول الله ﷺ: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"[2].

وعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له"[3].

ولهذا نهى الإسلام عن النظر إليهن لأنه يثير الشهوة الكامنة، وإذا كان النظر منهيا عنه، فلا ريب أن اللمس أشد نهيا، وصاحب الفطرة السليمة يدرك ذلك، وقد صحت الأحاديث على أنه ﷺ لم يضع يده في يد امرأة أجنبية قط، فعن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: "كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة كان يملكها"[4].

وعن ميمونة بنت رقيقة ﵂ أنها قالت: أتيت ﷺ في نسوة نبايعه على الإسلام فقلن: يا رسول الله نبايعك على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا

---

(١) سورة النور الآية (٢٨).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠٩٦) عن أسامة بن زيد ﷺ.

(٣) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٣٢٩ وقال رجاله رجال الصحيح، عن معقل بن يسار ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٢١٤) عن عائشة ﵂. والآية من سورة الممتحنة رقم (١٢).

نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله ﷺفيما استطعتن وأطقتن قالت: فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا هلم نبايعك يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: **فإني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة"**(١).

وقالت عائشة ﵂: **"ولا والله ما مست يده ﷺ امرأة قط في المبايعة ما بايعهن لا بقوله قد بايعتك على ذلك"**(٢).

قال الإمام النووي معلقا على أحاديث بيعة النساء: (وفيه أن بيعة النساء بالكلام من غير أخذ كف وفيه أن بيعة الرجال بأخذ الكف مع الكلام، قال: وفيه أنه لا يلمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة، كتطبيب وفصد وحجامة وقلع ضرس وكحل عين ونحوها، مما لا توجد امرأة تفعله، جاز للرجل الأجنبي فعله للضرورة)(٣).

❁❁❁

٦-صوت المرأة:

من التدابير الواقعية التي وضعها الإسلام للمحافظة على الفضيلة في المجتمع، عدم الخضوع بالقول؛ حتى لا يحركن الساكن ويهيجن الكامن، فجاء الخطاب القرآني من الله ﷻ للمرأة المسلمة من خلال زوجات الرسول ﷺ بأن لا يخضعن بالقول حتى لا

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١٦٥٤) حديث صحيح، عن أميمة بنت رقيقة ﵂.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٨٩١) عن عائشة ﵂.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ١١.

يطمع ذلك ذوو النفوس المريضة فقال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

يقول الإمام القرطبي: "أمرهن الله أن يكون قولهن جزلا، وكلامهن فصلا، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة ما يظهر عليه من اللين، كما كان الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه، وهو محل كلام الموريات والمومسات فنهاهن عن مثل هذا"[2].

فمن سمات الأنوثة البارزة في المرأة رقة صوتها، ورخامة منطقها، فقد يكون في صوت المرأة من الفتنة ما هو أشد من غيره، ولا ينبئك خبير مثل هذا الشاعر الماجن، الذي وجد لذته في سماع صوت المرأة الرقيق عوضا عن نظره الذي فقده فيقول بشار بن برد:

يا قومي أذني لبعض الحي عاشقة ∴ والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا: بهن لا ترى تهذى، قلت: ∴ الأذن كالعين توفي القلب ما كانا[3]

فصوت المرأة حين تخضع بالقول وتترقق في اللفظ فيه ما يثير الطمع، ويهيج الفتنة، والقلوب المريضة التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد، وفى كل بيئة، وتجاه كل امرأة، ولو كانت هي زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين، فكيف بهذا المجتمع الذي نعيش فيه اليوم؟.

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٧٧.

(٣) انظر ديوان بشار بن برد.

(١٢٠) المشكلات الزوجية أسبابها وعلاجها.

١-المشكلات الزوجية التي تأتي من قبل الزوج.

٢-المشكلات الزوجية التي تأتي من الزوجة.

٣-المشكلات المشتركة بين الطرفين.

٤-المشكلات التي تأتي من خارج البيت.

٥-علاج المشكلات الزوجية.

❁❁❁

لا يخلو بيت أسرى من مشكلات زوجيه على الإطلاق، وتتفاوت هذه المشكلات من بيت الى آخر، في حجمها، وضخامتها، ومن ثم فالعاقل هو من يتفادى المشكلة قبل وقوعها، ويبتعد عن أسباب الوقوع فيها.

لكن الناس ليسوا على درجه واحدة في ذلك، ومن هنا كان لا بد من الوقوف على الأسباب الحقيقية التي تؤدي إلى وقوع المشكلات الزوجية، فمنها ما يكون سببه الزوج، ومنها ما يكون سببه الزوجة، ومنها ما يكون مشتركا بينهما، ومنها ما هو خارج حدود البيت، أي من الاقارب والأصدقاء.

❁❁❁

١-أما المشكلات الزوجية التي تأتي من قبل الزوج فتتمثل في ما يأتي:

١-تدخل الزوج بصفة مستمرة في الأمور الدقيقة الخاصة بالزوجة في البيت، مثل المطبخ ومتعلقاته.

٢-قله الإنفاق أو التقتير من الزوج على البيت، أو على الزوجة، أو الأولاد.

٣-كثره النقد المستمر من الزوج لزوجته في موضعه، وفي غير موضعه.

٤-غياب دور القوامة والتوجيه والنصح من الرجل للزوجة، خاصة من أول الحياة الزوجية.

٥-عدم مراعاة الزوج للجانب النفسي والعاطفي للزوجة، والتغيرات العارضة وقت الدورة، والحمل والرضاعة.

❁❁❁

٢-أما المشكلات الزوجية التي تأتي من الزوجة، فتتمثل في ما يأتي:

١-النشوز والتعالي على الزوج، وعدم السمع والطاعة لكثير من طلبات الزوج.

٢-عدم تلبيه نداء الفطرة عند الرجل، خاصة عند قدومه من سفر، أو عند الحاجه.

٣-عدم اهتمام الزوجة بنفسها في المحافظة على منظهرها وشكلها أمام زوجها، فطول المعاشرة جعلتها تنسى هذا الجانب، حيث انشغلت بالأولاد وأمور البيت عن الزوج.

٤-الإسراف والتبذير في المعيشة، وعدم الاقتصاد والتدبير في الإنفاق والمصروفات.

٥-تهميش الزوجة لدور الزوج في الحياة الزوجية، وتدبير أمور الأولاد ومتعلقاتهم، دون الرجوع إلى الزوج في كثير من أمورهم الحياتية.

❁❁❁

٣-أما المشكلات المشتركه بين الطرفين، فيمكن أن نختصرها في هذه النقاط:

١-اتهام النفس بالتقصير في طاعة الله، أو الوقوع في الذنوب والمعاصي، وقد قال أحد السلف: (إني لأعصي الله فأجد ذلك في خلق زوجتي ودابتي)

٢-عدم وضع ضوابط مشتركه من بداية الزواج للحوار والنقاش، والاتفاق على رؤيه موحدة عند وقوع الخلاف، أو في تربيه الأولاد.

٣-عدم المحافظة على أسرار الحياة الزوجية، من الزوج أو الزوجة، فكل مشكلة تخرج خارج البيت، إلى الأقارب أوا لجيران، أو الأصدقاء.

٤-سفر الزوج أو الزوجة فتره طويلة في الخارج، أو غياب أحدهما عن الاخر، فيتولد الجفاف العاطفي، وحدوث المشكلات المتراكمة، ويصبح التعامل بينهما يغلب عليه الجانب المادي بصورة مستمرة في الغالب الأعم.

❁❁❁

٤-أما المشكلات التي تأتي من خارج البيت، فيمكن أن تتمثل في ما يأتي:

١-تدخل أقارب الزوج أو الزوجة في حياتهم الشخصية في كل صغيرة وكبيرة، مما يحدث مشكله بين الطرفين، وأحيانا أصدقاء الزوج يحرضون الزوج على زوجته، أو صديقات الزوجة يحرضونها على التمرد على زوجها.

٢-المقارنة بين الحالات الزوجية بعضها مع بعض، خاصة من الأقارب، مثل مقارنة أم الزوجة أو حماتها بين الزوجة وأختها، أو بنت خالتها وعمتها، ومطالبتها بأن تكون مثلها تماما في كل شيء.

٣-عدم انتقاء الزوج لأصدقائه من الرجال، والزوجة لأصدقائها من النساء، فقد يقعا في دائرة الحسد من الأصدقاء المقربين، وقد يكون سببا في قلب الحياة الزوجية السعيدة إلى حياة مليئة بالمشكلات والمنغصات، وفي الحديث: "ليسَ منَّا من خبَّبَ امرأةً علَى زوجِها أو عبدًا علَى سيِّدِه" (١).

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢١٧٥) صحيح، عن أبي هريرة ﷺ.

٥-علاج المشكلات الزوجية:

١-علاج المشكلات الزوجية بالقضاء على الأسباب التي تؤدي إليها.

٢-أخذ دورات مستمرة في فن الحياة الزوجية السعيدة، بين الحين والآخر.

٣-مجالسة أصحاب الخبرات والتجارب الناجحة، واستشارتهم، والاستفادة من خبراتهم الناجحة، خاصة المربين والمخلصين منهم.

٤-استخدام الحوار الهاديء بين الزوجين، هو أنسب وسيلة لحل المشكلات الزوجية المستمرة، والتي لا تتوقف، بسبب غياب الحوار والتفاهم والتغافل، بدلا من الانفعال والغضب والمقاطعة، أو الخروج عن الآداب والأخلاق الحميدة عند الغضب.

❁❁❁

(١٢١) آثار غياب الزوج عن زوجته بالسفر مدة طويلة.

١-الآثار المترتبة على الزوج.

٢-الآثار المترتبة على الزوجة.

٣-الآثار المترتبة على الأولاد.

٤-الاثار المترتبة على مؤسسة العمل الوظيفي.

❁❁❁

١-الآثار المترتبة على الزوج:

١-شعور الزوج بالقلق النفسي والاضطراب الجسدي، وعدم الاستقرار العاطفي، بسبب غياب جزء من تكوينه الفكري والنفسي، وهو الزوجة، وهذا يجعله غير مستقرا في عمله الوظيفي، ولا في حياته العامة، مما يؤثر على حياته الشخصية والوظيفية التي يقوم بها، فلا يشعر بالراحة والاستقرار والطمأنينة والأمان.

فبينما عمر بن الخطاب يحرس المدينة فمر بامرأة في بيتها وهي تقول: (تطاول هذا الليل واسود جانبه. وطال علي أن لا خليل ألاعبه... فسأل عنها عمر فقيل له: هذه فلانة زوجها غائب في سبيل الله، فأرسل إليها امرأة تكون معها، وبعث إلى زوجها فأقفله، ثم دخل على حفصة فقال: يا بنية كم تصبر المرأة

عن زوجها؟ فقالت: سبحان الله مثلك يسأل مثلي عن هذا! فقال: لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك، قالت: خمسة أشهر ستة أشهر. فوقَّت للناس في مغازيهم ستة أشهر يسيرون شهرا ويقيمون أربعة ويسيرون شهرا راجعين).

٢-بعد الزوج عن زوجته فتره طويلة مدخل من مداخل الشيطان للإنسان، فمن الممكن أن يضعف الإنسان أمام شهواته وغرائزه كأن يطلق بصره للعنان في الحرام، أثناء الطريق، أو أمام التلفاز أو في مواقع التواصل الاجتماعي، و قد يدفعه ذلك إلى مشاهده أشياء خطيرة حرمها الله على المسلم ؛ مما يجعله يعيش في العنت والمشقة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾ (١).

٣-قد يلجأ الشخص إلى تصريف غريزته الجنسية في طرق غير مشروعة، أقلها العادة السرية، مما يجعله يتعود عليها أو يدمنها وهي لا تحقق الإشباع الجنسي والعاطفي له، ولا تشبع المجموع العصبي، مما يجعله يعاني من القلق والاضطراب النفسي، بالرغم من تصريف الغريزة لكن بطريق من الطرق المحظورة.

(١) سورة النور الآية (٢١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ (١).

٤-قد يدفعه التفكير إلى الزواج بزوجه ثانية، رغم وجود الزوجة الأولى مع الأولاد، لكنها بعيده عنه، مما يسبب له مشكلات أسرية جديدة.

حيث تتحزب الزوجة الأولى مع الأولاد في جانب، أمام الزوج والزوجة الثانية في الجانب الآخر، فلا شك أنه سوف يخسر خسارة كبيرة، إما أن يكسب الزواج الأولى والأولاد ويطلق الثانية، واما أن يكسب الثانية ويطلق الأولى، وقد يخسرهما معا، هذا كله قد يقع بنسب متفاوته، وهو من نتائج غياب الزوج بعيدا عن زوجته فتره طويلة.

❁❁❁

٢-الآثار المترتبة على الزوجة.

١-شعور الزوجة أيضا بعدم الاستقرار النفسي والعاطفي والأمان، بسبب غياب الزوج فتره طويلة عنها، مما يجعلها في حاله من التوتر والقلق والاضطراب، والغضب والانفعال، في التعامل مع الزوج والأولاد والاخرين.

(١) سورة المؤمنون الآيات (٥ – ٧).

٢-مضاعفه العبء البدني والنفسي على الزوجة، حيث تقوم بدور الأم والأب معا، فتكثر المشكلات بينها وبين الأولاد، رغم وجود الأب لكنه بعيد عنهما.

٣-مدخل من مداخل الشيطان للزوجة أيضا، في محاوله إشباع الجفاف العاطفي، بسبب غياب الزوج، فقد تقع فريسة للمواقع المحظورة، أو أي شيء آخر، خارج حدود الشرع والدين والأخلاق.

٤-طمع الذئاب البشرية في الزوجة، لعلمهم بغياب الزوج عنها، كما قال ابن مسعود (والحي لا تؤمن عليه الفتنه) والقوي قد يضعف، والقرآن يقول، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١).

❁❁❁

٣-الآثار المترتبة على الأولاد.

١-تعرض الأولاد للانحراف والتفكك الأسري؛ بسبب غياب المربي والمسؤول الأول عن البيت والأسرة، وهو الاب، وعندما يغيب الرقيب فهناك فرصة كبيرة لانحراف الأولاد يمينا أو شمالا، حيث لا يجدون الموجه والناصح الأمين، الذي يقوم بدور التقويم والتربية والإصلاح والتهذيب.

(١) سورة يوسف الآية (٣٣).

٢-الجفاف العاطفي من الأولاد نحو أبيهم، حيث غيابه فترة طويلة، ويصبح الأب صوره عندهم لتحصيل الأموال فقط، مما يولد الجحود والعقوق عند الأولاد في المستقبل، فلا يعرفون قيمة الأب أو عاطفة الأبوة أو فضل الأب عليهم بسبب غيابه فترة طويلة عنهم، و لا يراهم إلا عبر التلفون، أو وسائل التواصل الحديثة أو زيارات على فترات طويلة مثل كل سنة.

٣-وجود حساسية مستمرة بين الأب والأولاد، مهما كانت المبررات عند الأب؛ بسبب الزواج الثاني، فتظل الحساسية مستمرة، لن ينساها الأولاد، كأن الأب قد ارتكب ذنبا أو جريمة لا تغفر مدى الحياة، وقد يقف وراء ذلك الزوجة الأولى، أو أحد أقاربها المطلعين على شؤونهم.

❁❁❁

٤-الآثار المترتبة على مؤسسة العمل الوظيفي:

١-تعطيل الطاقات داخل المؤسسة، بسبب عدم استقرار الأفراد العاملين فيها من الناحية النفسية والعاطفية، و يصبح الفرد طاقه معطلة، لا يقوم بواجباته في عمله الوظيفي بصوره جيدة يرضى عنها، أو يرضى عنها رؤساؤه.

٢-انشغال المؤسسة بحل المشكلات الأسرية، نتيجة غياب الزوج عن زوجته والأولاد، مما يؤدي الى إهدار الأوقات، والبحث عن حلول لمشكلات واقعية، تستهلك أوقات الأفراد، والمؤسسة، والقائمين عليها فتره طويله.

٣-شعور الفرد بمشكلة داخلية، يراها في نظرات بعض الناس له، من زملائه وأصدقائه، فينعزل وينطوي على نفسه، ويقصر في عمله، ويتخلف عن كثير من المناسبات الاجتماعية، تفاديا من عيون الناس وألسنتهم.

❁❁❁

(١٢٢) من الأخلاقيات العامة في التجمعات.

١- مقدمة.

٢-من الأخلاقيات العامة في التجمعات.

❁❁❁

١- مقدمة.

الإسلام شجرة باسقة لها جذور، وساق، وفروع وأوراق، ولها ثمار، أما جذورها فالعقيدة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وأما ساقها فالعبادة، وأما فروعها وأوراقها فالمعاملات، وأما ثمارها فالأخلاق.

ولا خير في شجرة لا فائدة منها، لا يستظل تحتها الناس، وليس لها ثمر يفيد الراغبين والجائعين.

والبشر يتفاوتون في أخلاقهم كما يتفاوتون في أرزاقهم، والتجمعات البشرية تكشف عن معدن كل إنسان وأخلاقه وآدابه.

وهذه بعض الآداب والأخلاق التي ينبغي أن يتخلق بها المسلمون، لاسيما في أماكن العمل والوظيفة، والتجمعات البشرية في كل مكان، خاصة أنها تظهر السلبيات، وتختبر فيها الأخلاق.

❁❁❁

من الأخلاقيات العامة في التجمعات.

١-التغافل والتجاهل عامة من سمات المسلم، فلا يعلق على أمور الأخرين في كل شيء، وإنما يعلق مرة ويسكت مرة، ويتكلم بالتلميح لا بالتصريح، وبالإشارة لا بالعبادة، وتجاهل أخطاء الناس وعيوبهم سمة الكبار، وعظماء النفوس.

يقول أنس ابن مالك: "خَدَمْتُ النبيَّ ﷺ عشْرَ سِنِينَ، فَما قالَ لِي: أُفٍّ، ولَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ ولَا: ألَّا صَنَعْتَ" (١).

وقد قال الشاعر الحكيم:

ليس الغبي بسيد في قومه ∴ إنما سيد قومه المتغابي

والكريم دائما هو الذي يعفو ويصبح، خاصة عند المقدرة والانتقام:

إن الكريم إذا تمكن من أذى ∴ جاءته أخلاق الكرام فأقلعا

وترى اللئيم إذا تمكن من أذى ∴ يطفى فلا يبقى لصلح موضعا

❁❁❁

٢-أن ينشغل الإنسان بعيوب نفسه واصلاحها، وتقويمها وتهذيبها قبل أن ينشغل بعيوب الآخرين ونقدهم المستمر، فمن كان له عيب وانشغل

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٠٣٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

بإصلاحه ستر الله عيبه عن الآخرين، ومن أمكن له عيبه وانشغل بعيوب الآخرين، ابتلاه الله بالعيوب، فالجزاء من جنس العمل.

وفي الحديث "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَن كانَ في حاجَةِ أَخِيهِ كانَ اللهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عنْه بها كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ"(١).

عليك نفسك فتشى عن معايبها ∴ وخل عن عثرات الناس للناس

والنقد الهدام ما أيسره وما أسهله، والنقد البناء لا يحسنه إلا كبار النفس، وعظماء الأخلاق.

❁❁❁

٣-أن لا يتدخل الإنسان فيما يعينه ولا يخصه من أمور الآخرين، فالمجالس أمانه، فلا يتلصص الإنسان بإذنيه ليسمع أسرار الآخرين، ولا يتلصص بعينيه ليتتبع عورات الناس، وفي الحديث "مِن حُسْنِ إسلامِ المرءِ تَرْكُه ما لا يَعْنِيه"(٢).

والإنسان إذا لم يشغل نفسه بالحق والصواب، انشغلت بالباطل وسفاسف الأمور، فليس هناك فراغ في الكون، والأصل أن ينشغل الإنسان بما

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٠) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٢٨٧ حديث مرسل، عن أبي هريرة ﷺ.

يخصه، ولا يشغل نفسه بما يخص الآخرين، إلا إذا طلب منه ذلك وفي الحديث: "الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ"(١).

❁❁❁

٤-مراعاة أدب الحوار والنقاش عند الحديث مع الآخرين، والبعد عن الجدل والمراء الذي لا يأتي بخير، فلا يفرض الإنسان رأيه عليهم، وإنما لابدَّ من الحوار الهادئ المقنع، المشفوع بالأدلة والمسوغات، ويراعى عدم الانفعال والغضب، أو رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه، وعدم مقاطعة المتحدث، حتى يفرغ من حديثه وكلامه.

وفي السيرة النبوية أن النبي ﷺ قال للوليد بن المغيرة، قل يا أبا الوليد، أسمع ؛ فلما انتهى قال: "أفرغت يا أبا الوليد"(٢).

والشخص القوي هو الذي يتحكم في ثورة غضبه وانفعالاته، ولا يتكلم بشيء في ثورة الغضب يندم عليها فيما بعد. وفي الحديث: "ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"(٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢٩٦.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٧٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الحديث، أنَّ رَجُلًا قالَ للنَّبيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، "قالَ: لا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا، قالَ: لا تَغْضَبْ"(١). أي لا تتعاطى أسباب الغضب.

❁❁❁

٥-مراعاة اختلاق العادات والتقاليد والأعراف والطبائع، عند التعامل مع الناس في بيئاتهم المختلفة، فلا يضع الإنسان نفسه مقياسا للآخرين في كل شيء، ويحكم على الناس بمقياسه الشخصي، في الطعام والشراب، والنوم، والعمل، وغير ذلك.

وإنما كل إنسان له ظروفه الخاصة، النفسية والاجتماعية، والناس ليسوا قوالبي واحدة جامدة متكررة ولولا اختلاف وجهات النظر لبادت السلع.

❁❁❁

٦-احترام خصوصيات الآخرين في حياتهم الخاصة، فالإنسان حر ما لم يضر، والذوق سلوك الروح، فلا يسأل أحدا عن خصوصياته، ما لم يتحدث هو عنها بنفسه، فلا يسأله عن راتبه، ولا كم ينفق في الشهر؟ أو كم يدخر؟.

ولا يسأله عن أسرار بيته، وحياته الأسرية مع الزوجة والأولاد، ويشكر الناس على ما يقدموه له من خدمات، فالناس ليس أجراء عنده، وليس هو فوقهم، والتواضع من أخلاق الكرام، واحترام خصوصيات تجبر الناس على احترام خصوصياتك. ❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦١١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٧-حفظ اللسان من الآفات والعيوب، مثل الغيبة والنميمة، والخوض في الأعراض، وعدم ذكر الناس بسوء، أو النيل منهم، بأنهم كانوا فقراء، ثم أصبحوا أغنياء، وبأنهم كانوا مغمورين ثم أصبحوا معروفين ومشهورين، قال تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (١).

❁❁❁

٨-الاستفادة من الوقت فيما ينفع، فالوقت هو الحياة، والذين يضيعون أوقاتهم يقتلون أنفسهم ويضيعون أعمارهم، وأفضل شيء يشغل الإنسان فيه وقته حسن علاقته مع الله، بالقرآن، والذكر، والاستغفار، والتوبة، والدعاء، والعمل الصالح، وتزكية النفس، ومساعدة الأخرين في قضاء مصالحهم. وفي الحديث: "نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ"(٢).

❁❁❁

٩-مراعاة آداب النصيحة وضوابطها الشرعية، بأن تكون في السر بين الفرد والآخرين، وأن يؤديها في أحسن صورة وأن يقبلها الطرف الآخر على أي صورة. وفي الحديث "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: للهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ"(٣).

---

(١) سورة البقرة الآية (٨٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤١٢) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه.

وقال عمر بن الخطاب: (رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي).

وأن يكون الإنسان عند تفاعله مع الناس مثل المرأة المستوية، وليس المحدبة أو المقعرة، فلا يصغر الكبائر، ولا يكبر الصغائر، والاعتدال مطلوب في كل الأمور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾ (١).

❁❁❁

١٠-أن يدرب الإنسان نفسه على فضيلة الصمت، فهو نعمة كبرى، يسلم فيه اللسان، ويرتاح فيه العقل والفكر، ويقوى فيه التأمل والتدبر، وينجو فيه ألسنة الآخرين، وفي الحديث: "مَن صمَتَ نَجا"(٢). وفي الحديث: "ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ"(٣).

والإنسان يتعلم الكلام في سنتين فقط، ويحاول أن يتعلم الصمت مدى الحياة، كفى أن فيها مقاومة شهوة اللسان في الكلام، والاستئناس بأحاديث الناس ومشاركتهم فيها.

❁❁❁

(١) سورة الرحمن الآية (٩).

(٢) الحديث أخرجه الإمام الإمام أحمد في مسنده (٦٤٨١) عن عبد الله بن عمرو ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦١٣٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(١٢٣) قراءة في أخلاق البشر وسلوكهم.

طبائع النفوس البشرية وأحوالها عجيبة وغريبة ومحيِّرة، قد تجد فيها الشيء ونقيضه أو ضده، ولا يستطيع أحد أن يرصدها ويحللها إلا خبير فيها، خالط الناس وعاشرهم، وتعامل معهم وخبرهم، ودرسهم وفحصهم، ودخل في أعماقهم وصهرهم، وشارك في حل مشكلاتهم وقضاياهم.

وهو موضوع شائل وصعب في الفهم والتحميص، والكتابة والتحليل، ولا يجيد الحديث عنه أو الكتابة فيه إلا العالمون بطبائع النفوس ومعادنها.

وصاحب الخبرة الضعيفة في الحياة، أو قليل المخالطة مع الناس في حياتهم الاجتماعية يتعرض لكثير من الأضرار والمخاطر والخسائر، بسبب عدم فهمه لطبائع الناس ونفسياتهم، وعدم انشغاله بتحليل حياة الناس وتصرفاتهم.

ومدارسة هذا الموضوع لا تخلو من فائدة، للقارئ والسامع، ولا يعدم منفعة عاجلة أو آجلة، فقد تتكرر المواقف، وتتشابه الحالات، ويستطيع الإنسان بالقياس والمقارنة أن يصل إلى رأى سديد رشيد في حل المشكلات المعقدة، أو القضايا والأزمات المتشابهة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (١).

❁❁❁

إن طبائع النفوس من الأمور المعقدة التي تحتاج إلى من يفك طلاسمها، ويعرف مداخلها ومخارجها، ويحسن كيفية تشخيصها، والتعامل معها، وتحتاج إلى أن تدرس وتدرس.

كما يتم حصر أصحاب النفوس المريضة، والطبائع الشاذة، وتقديم العلاج لها، للتخفيف من آثارها وأضرارها، فهي معول هدم، وأسوار شائكة عالية، تقف حجر عثرة في طريق بناء أي مجتمع وتقدمه.

فالحضارة لا تقاس بالجانب المادي فقط، وإنما جناحها الآخر الأخلاق العالية، والنفوس السامية، التي تساهم في التشييد والبناء، والتعمير والنماء، وبذل المعروف ونشر السخاء، وطلاقة الوجه، والابتسامة عند اللقاء.

وأسعد الناس هو من يجعل الناس سعداء، ويزيل عنهم البؤس والشقاء، ويتساوى عنده الفقراء والأغنياء، ويرحم من في الأرض حتى يرحمه من في السماء.

❁❁❁

(١) سورة النساء الآية (٨٣).

الناس ثلاثة أصناف، صنف جمع صفات الخير، وخير الصفات، وتطبع بها حتى صارت ملكة عنده، وخلقا راسخا لا ينفك عنه.

وصنف جمع خصال الشر، وشر الخصال، إلى أن أصبحت عنوانا له، يعرف بها بين الناس إذا رأوه، أو ذكروا اسمه في مجالسهم.

وصنف أخذ من كليهما بحظ ونصيب، فيرتفع قدره على قدر ما غلب عليه من الخير، وتهبط مكانته ومنزلته على قدر ما جمع من خصال الشر، فأيهما غلب غلب على الآخر، وكل صنف له أمثلة ونماذج في الحياة.

❁❁❁

وهذه بعض الصفات الحسنة، والأخلاق النبيلة، التي ينبغي أن يتحلى ويتطبع بها كل مسلم، إلى أن تصبح سجية وخلقا وسلوكا له، وكذلك الصفات السلبية التي ينفر منها العقلاء، ويهرب منها أصحاب الفطر السليمة، لأنها تنال من قدرهم ومنزلتهم عند الناس، أحياءً وأمواتاً.

وقد تجد في الحياة نفرا من الصنف الأول، وقد تجد عددا من الصنف الثاني، وقد تجد أفرادا جمعوا بين المتناقضين، أي بعض الصفات الحسنة، وبعض الصفات السيئة، وقد تجدها متفرقة في أشخاص فيحمل كل إنسان منها نصيبا على قدر حظه من التربية والاعتناء في الصغر، والبيئة التي نشأ فيها، فالبقاع تؤثر في الطباع، والعادة غالبة، والتربية والرعاية أساس في صناعة الأفراد وصياغتهم.

وينشأنا شيء الفتيان منا ∴ على ما كان عوده أبوه

❁❁❁

والقرآن قسم الناس إلى ثلاث أقسام لينظر كل إنسان أين موقعه منهم، ثم يتطلع إلى أن يكون من أعلى صنف وأحسنهم درجة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١). كما قسم النفس البشرية في أحوالها إلى ثلاثة أحوال، ليحاول أن يكون المسلم من أعلى صنف منها، وهي النفس المطمئنة، التي تبشر بمقعدها من الجنة عند خروج الروح.

❁❁❁

فأما الصنف الأول:

فهو شخص يعيش على فطرته النقية البيضاء، لم تلوثه الذنوب والمعاصي والآثام، ولم يتغير بمخالطته الناس في حياتهم الاجتماعية المختلفة.

فهو يعيش في سلامة القلب، وسكينة النفس، وهدوء البال، وصلاح الحال، ونظافة اليد، وطهارة الجوارح، ويقظة الضمير، وإخلاص العمل، ونقاء السريرة، صاحب فطرة نقية، وأخلاق سوية.

---

(١) سورة فاطر الآية (٣٢).

إن حياته كلها طهارة ونقاء، ووضاءة وصفاء، لا يضمر شرا لأحد، ولا يحمل حسدا لإنسان، لا يعرف الكرة والبغضاء، ولا الحقد والشحناء.

إن ظاهرة كباطنه، وباطنه كظاهرة، مظهرة كمخبرة، ومخبره كمظهرة، يظهر نقاء داخله في قسمات وجهه، وعلى جبينه وفي محياه، إذا نظرت في صفحة وجهه وجدت قمرا يتهلل، وإذا تحدثت معه وجدت دُرراً يتلألأ، وإذا تعاملت معه عن قرب وجدت رجلا سهلا سمحا في بيعه وشرائه واقتضائه.

يتغافل عن أخطاء الآخرين كأنه لم يراها، ويتسامى بأخلاقه عن المخطئين كأنه نساها، يحمل الحب في قلبه لكل الناس، ويدخل البسمة والسرور على من يقابله من البشر، كأنه المعنى بحديث الرسول ﷺ حينما سئل عن من أفضل الناس "قيل لرسولِ اللهِ ﷺ أيُّ الناسِ أفضلُ قال كلُّ مخمومِ القلبِ صدوقِ اللسانِ قالوا صدوقُ اللسانِ نعرفُه فما مخمومُ القلبِ قال هو التقيُّ النقيُّ لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غِلَّ ولا حسدَ"(١).

هذه الصفات تجعله محبوبا عند الله ﷻ وعند الناس، يعيش في صدق مع الله ﷻ ومع النفس ومع الغير، ينعم بسلام داخلي في عقله وقلبه وجوارحه،

(١)الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٣٤١٦) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

فيمنحه الله الأمن والأمان، والسلامة والاطمئنان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (١).

والإسلام ينشد هذا الصنف من الناس، ولذلك ربى النبي ﷺ أصحابه على هذه الآداب والقيم والمثاليات، فصنع منهم أبطالا وعمالقة، فتحوا البلاد بأخلاقهم قبل سيوفهم.

هذه الصفات المثالية السابقة، تجعل صاحبها يعيش في استقامة ووضوح، ويحمد لكل إنسان على قدر ما يحمله من صفات أخلاقية عالية، فالناس متفاوتون في ذلك. وفي الحديث "إنما الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة" (٢).

قال ابن قتيبة : الراحلة: النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره، فهي كاملة الأوصاف.

فما أكثر الإبل وما أقل الرواحل، وما أكثر الشدائد وأقل الرجال، وما أكثر المواقف والأزمات، وما أقل المرؤة والنبلاء.

ولا شك أن المواقف الصعبة تكشف عن معادن الرجال وأخلاقهم، وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر.

وفرز النفوس كفرز الصخور ∴ ففيها النفيس وفيها الحجر

---

(١) سورة الأنعام الآية (٨٢).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٩٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وهذا الصنف من الناس، أصحاب الفطر السليمة، والنفوس المستقيمة يتعبون كثيرا في الحياة، لأنهم يتعاملون بحسن النية، وسلامة الطوية، في وسط كثر فيه التلون والابهام، وعدم الوضوح والمراوغة، فكيف للحمل أن يعيش في وسط الذئاب ويسلم من مكرها، وكيف للديك أن يعيش بين الثعالب ويسلم من كيدها، وكيف للشريف أن يعيش بين اللصوص وينجو من شرهم.

فلابدَّ من الحذر والانتباه، وكما قيل: لست بالخب ولا الخب يخدعني.

عرفت الشر لا للشر ولكن لأتقيه ∴ ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه

وحذيفة بن اليمان يقول: "كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِّ، إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُّ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ قُلتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ قُلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ قُلتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟.

قالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ علَى أبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلتُ: يا رَسولَ اللهِّ صِفْهُمْ لَنَا، قالَ: هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا قُلتُ: فَما تَأْمُرُنِي إنْ أدْرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وإمَامَهُمْ قُلتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ

ولَا إمَامٌ؟ قالَ: فَاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، ولو أنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ علَى ذلكَ"(١).

❁❁❁

والعاقل هو من يلتزم بحسن الخلق طوال حياته، ومع كل الناس، حتى مع المسيئين إليه، حتى لا يتأثر بأخلاقهم السيئة، بل يرد عليهم بالتسامي أحيانا والتغافل أحيانا، والصبر الجميل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢). وفي الحديث: "لا تَكونوا إمَّعةً، تقولونَ: إن أحسنَ النَّاسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلَمنا، ولَكن وطِّنوا أنفسَكم، إن أحسنَ النَّاسُ أن تُحسِنوا، وإن أساءوا فلا تظلِموا " (٣).

وهناك صنف من البشر يتطبع بصفات الحيوانات، ويأخذ منها أسوأ ما فيها، رغم أن كثيرا من الحيوانات بها صفات إيجابية يمدح عليها، وأصبحت مضرب المثل في حياة البشر، مثل وفاء الكلب، وحكمة القرد، وغيرة الديك، وتجلد الجمل، وصبر الحمار. ❁❁❁

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٠٨٤) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) سورة فصلت الآيتان (٣٤-٣٥).

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٠٠٧) حديث حسن، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

وأما الصنف الثاني:

١-فمن الناس من يجيد النفاق في صوره المختلفة، وألوانه المتعددة، فيتلون مع كل مشهد بما يناسبه، فمع صاحب كل مذهب هو على مذهبه، كما فعل بولس اليهودي مع النصارى والمجوس وغيرهم، حتى حقق أهدافه، ونال مآربه، ووصل إلى غايته، فإذا كان الشخص قويا ظهر أمامه بضعفه ومسكنته، وإذا كان ضعيفا انقض عليه بكل قوته، فالغاية عنده تبرر الوسيلة، وليس يعنيه إن كانت الوسيلة مشروعة أو غير مشروعة.

٢-ومن الناس يجيد الحيل في الظلام، والمكر في الخفاء، يجمل القبيح ويقبح الجميل، ويقلب الموازين رأسا على عقب، ويبنى حياته على أنقاض الآخرين.

٣-وهناك صنف من الناس لا يسلم من لسانه أحد، كثير الشتم واللعن، والسب والطعن، يخوض في أعراض الناس وشرفهم ولا يبالي، كأنه يشرب كوبا من الماء البارد في حر الصيف، فهو يمدح الناس وينثى عليهم في وجوهم، ويذمهم ويعيبهم في ظهورهم.

لا يفصح عما بداخل عقله وقلبه لأحد، لكنه يظهر في فلتات لسانه، ونظرات عينيه، فهو يبتسم في وجه الآخرين، ويصغى إلى مطالبهم، ويعدهم بأن

ينظر في الموضوع، ويمنيهم بقضائه، ولا يعطيهم إجابة قاطعة بالقبول، بينما هو يفكر في طريقه كيف يضع بها العراقيل أمامهم.

ذهبت مشرقة وذهبت مغربا ∴ شتان بين مشرق ومغرب.

٤-ومن الناس من يجيد النقد للآخرين، فيركز على عيوب الناس وعثراتهم يضخم الصغيرة منها ويحولها إلى كبيرة، ويصنع من الحبة قُبة، ومن الحجر جبلا.

فيرى أنه فوق الناس، وفوق النقد، إذا تكلم وجب على الآخرين أن يسمعوا له، وإذا مشى أن يوسعوا له، وأن يسيروا خلفه وفي ركابه، فهو يرى أن القمة مدببة لا تتسع إلا لشخص واحد فقط، فمن يكون إذا لم يكن هو.

فهو يغضب من الناس إذا لم يمدحوه، وينال منهم إذا صارحوه، يرى أن قوله الفصل، وفي قول غيره الهزل، فكلام الآخرين سطحي، ما لم يدور في فلكه، أو يسير في ركابه، أو يرفعه فوق أقرانه.

إذا تكلم وجب على الجميع أن ينصتوا له، وإذا خطب ينتظر منهم أن يعجبوا به، ويصفقوا له، يحب التمييز والتميز في كل شيء.

إن الذاتية عنده متضخمة جدا، ففقد التوازن والاعتدال، وتضخمت خلاياه على حساب أخرى، فهو مريض ولا يشعر بأنه مريض، ويكره من يصارحه بمرضه وعيوبه.

٥-ومن الناس من يخزن المواقف في داخله ويضمرها، ولا يستطيع المكاشفة والمصارحة والمواجهة، وإنما يحارب خصمه من خلف ستار، فيختبئ خلف شخص آخر، يجعله في المقدمة والمواجهة، بينما هو يقف في الظل والمؤخرة، ويمد صديقه بخططه ومَكْره، وأما صديقه فهو لسانه الذي يتكلم، وعينه التي يرى بها، ويده التي يبطش بها.

ولو أنه يملك الشجاعة الأدبية، وشرف الخصومة، لأزال النقاب عن وجهه، ودخل في مواجهة صريحة، قد تكون له أو عليه، لكنه جمع بين السوأتين الجبن، والحرب من خلف الحواجز والحدود والستائر، ولا يجيد ذلك إلا الضعفاء الجبناء.

٦-ومن الناس من يحيرك بسكوته، فلا يتكلم إلا قليلا، فلا تدري ماذا وراءه من خير أو شر، وماذا وراء صمته الطويل، فهو يسمع منك أكثر مما يتكلم إليك، والمرء مخبوء تحت لسانه، إذا تكلم عرف، وعند المواقف الحاسمة الكاشفة لا يعطيك رأيه بصراحة ووضوح، ويتركك في شك وحيرة، وهو يتعمد ذلك، وقد يكون على عكس رأيك تماما، لكنه لا يحب أن يعلن ذلك، ولا ينقل ذلك عنه بين الناس.

والانسان أمام هذه الطبائع البشرية، المتعددة المتنوعة، المشكلة المحيرة المتناقضة، تجعلك لا تتعجل في الحكم على إنسان، أو تكون عنه تصورا نهائيا، فلابد من معايشته في فترة طويلة، فيها من المخالطة والمآكلة والمشاربة والسفر

والمغاضبة، حتى تنكشف لك حقيقته الداخلية، وتبلى لك سرائره المستترة، ثم تستطيع أن تحكم له أو عليه، أو تصادقه وتقترب منه، أو تقاطعه وتبتعد عنه.

هذه صورة مختصرة عن حياة الناس في أخلاقهم وطبائعهم وسلوكهم، وكلما كان الإنسان صادقا مع نفسه، ومحددا ودقيقا واضحا، كان أكثر هدوء أو استقرار نفسيا مع نفسه ومع الآخرين.

ورسوخ في الأخلاق، وعمق التربية، وتحري الصدق والشفافية في كل شيء، صفات تكسب صاحبها الطمأنينة والسكينة، والأمن والأمان، وليت الناس يفهمون ذلك ويعملون به، حتى يتعايشوا في أدب، ويعيشوا في راحة وسلام، وأمن وأمان، وهدوء واطمئنان.

❁❁❁

(١٢٤) البعث في ضوء القرآن الكريم.

من أبرز القضايا التي اعتنى بها القرآن الكريم، وشغلت مساحة كبيرة من الآيات، وكانت محور حديث ونقاش بين الرسول ﷺ ومشركي قريش، قضية البعث، وهي قضية محورية، فهي بالنسبة للمشركين من عوامل الرفض والانكار وعدم الاعتراف، وبالنسبة للمؤمنين عامل من عوامل الثبات.

فهناك يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين، ترد فيه المظالم، ويقتص فيه من الظالم، والدنيا كلها لا تساوى في نظر المؤمن جناح بعوضة بجوار ما أعده الله له في الآخرة، فجعلتهم يستعذبون الصعوبات والمحن، ويصبرون على ابتلاءات الحياة، رجاء ما عند الله من أجر وثواب.

❁❁❁

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (١).

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٩).

قيل إن هذا الرجل هو عزير من بني إسرائيل، لما رأى ما تؤل إليه الأمور من خراب، فتعجب كيف يحيى الله هذه القرية بعد موتها، فجاء الرد القوي في شخصه، بأن أماته الله مائة عام ثم بعثه، ليتأمل حالته وكل ما حوله، فوصل إلى مرحلة اليقين، وقال أعلم أن الله على كل شيء قدير، فله طلاقة المشيئة والقدرة الإلهية ومنها قدرته على البعث بعد الممات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾(١).

وجاء مثال آخر في حوار إبراهيم مع الله، فأعطاه الله المثال العملي الحي أمامه في صورة الطيور وتقطيعها وتوزيعها على الجبل، وجمع الله لها مرة أخرى، فوصل إلى مرحلة اليقين حيث رأى التقطيع وخلط الأجزاء، مما يعجز عن مثله البشر، ولا يقدر على ذلك إلا الخالق سبحانه.

❁❁❁

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٠).

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ (١).

فإذا كان أهل مكة يشكون في القيامة، فخلق الإنسان في بطن أمه وتطوره حتى الميلاد وحياته حتى الوفاة، وإحياء الله للأرض الميتة بالماء فتتحرك وتخرج نباتا يُسرُّ الناظرين، من يقدر على فعل ذلك يقدر على بعث الموتى، فإرادته نفاذة، ومشيئته ماضية، والساعة قادمة لاشك في مجيئها، وأن الله يعبث من في القبور من الأموات، إلى موقف العرض والحساب.

❁❁❁

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (٢).

جاء أمية بن خلف بعظم بال قد رمَّ وفته بيده وتعجب من يقول بالبعث، وقال يا محمد أترى أن ربك يبعث هذا، قال نعم يبعثه ويبعثك ويدخلك النار.

---

(١) سورة الحج الآية (٥).

(٢) سورة يس الآيات (٧٨–٨٣).

فنزلت الآيات (وضرب لنا...) فتعجب من قضية البعث، ونسي خلق الله له من نطفة ومروره بمراحل مختلفة حتى ميلاده، يشاهد ذلك في أولاده وفي جميع الناس، وهو فَرد منهم قد مرَّ بذلك.

فرد الله عليه ردًا قويا بأن الذي خلقها أول مرة قادر على إعادتها مرة أخرى، وذكر له مثلا من الحياة على قدرة الله، فهو الذي جعل من الشجر الأخضر نارا يستخدمونه في الايقاد والطهي والتدفئة، فالذي يقدر على هذا يقدر على تلك. ثم نقله القرآن نقله كبرى فقال: إن الذي خلق السماوات والأرض بحجمهم وضخامتهم لا يقدر على إعادة خلق إنسان ضعيف لا يساوي شيء في هذا الكون الفاسح، وهذا استفهام تقديري يرد الله على هذا السؤال بقوله: بلى هو قادر على أن يخلق خلقا بعد خلق، فهو الخلاق العليم، وأمره بين الكاف والنون. وكل من أنكر البعث إنما أنكره لجهله بقدرة الله ﷻ.

❁❁❁

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (١).

(١) سورة الصافات الآيات (٥٠-٦١).

أقبل أهل الجنة بعضهم على البعض يسألون عن أحوال كانت في الدنيا، قال أحدهم كان لي صالح وشريك، يقول له هل أنت من المصدقين بالبعث، أفبعدما نصير ترابا وعظام هل نُبعث ونُجازى على أعمالنا، فقال المؤمن لأهل الجنة، تعالوا نطلع على صديقي لنعرف أين منزلته من منزلتنا، فاطلع قرأه في وسط جهنم، فقال له معاتبا لقد كدت أن تهلكني لولا انعام الله على بالإسلام والإيمان لكنت معك في النار، ثم قال له موبخا أفما نحن بميتين بعد الموتة السابقة الأولى، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة.

لقد ساق الله القصة في صورة حوار بين طرفين مؤمن وملحد، وساق النهاية لهما جميعا التي سوف تقع يوم القيامة، حتى يتعظ أهل الكفر والشرك والإلحاد، ويزداد أهل الإيمان واليقين إيمانا بالخالق ﷻ.

❁❁❁

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (١).

(١) سورة غافر الآيات (٥٧–٥٩).

إن خلق الله للسماوات والأرض الكبار العظام، السماء في ارتفاعها، والأرض في اتساعها، شيء عظيم أكبر من خلق الناس واعادتهم مرة أخرى ولكن الكفار لا يعلمون ذلك ولا يسلمون به.

كما أنه لا يستوى الأعمى والبصير في الرؤية والبصر، فبينهما فرق عظيم فكذلك لا يستوى المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار، وما أقل من يتذكر هذا من الناس، لأن الناس شغلوا أنفسهم بالدنيا ومادياتها.

يؤكد الله ﷻ على أن الساعة كائنة وواقعة لا شك في مجيئها، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بها، بل يكذبون بقدومها.

فمن قدر على خلق الشيء العظيم، فهو أقدر على احياء الضعيف بعد موته، فالذي يقدر على الخلق يقدر على الإعادة.

❁❁❁

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا

فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ ﴾ (١).

بدأت السورة بالقسم على أن الله ﷻ يعبث الناس بعد الموت، فهم قد عجبوا من إرسال الرسول ﷺ لينذرهم بأنهم بعد موتهم سيبعثون، وهم قد ابتعدوا ذلك تماما، فرد الله عليهم بأنه يعلم ما تنقص الأرض منهم من لحومهم ودمائهم وأشعارهم فكل ذلك مسجل عند الله في كتاب محفوظ.

ثم نقلهم القرآن نقلة أخرى، وهي النظر في الآيات الكونية المبثوثة في الكون، مثل السماء والأرض، والجبال، ونزول الماء، وإنبات الحدائق والزروع والثمار، التي أكل منها الناس، فمن يقدر على فعل كل ما سبق، يقدر على إعادة الناس بالبعث بعد الممات مرة أخرى.

❁❁❁

(١) سورة ق الآيات (١-١١).

(١٢٥) ماذا أعددت ليوم القيامة؟.

١. الهدف من الموضوع.

٢. لماذا هذا الحديث الآن.

٣. ماذا أعددت لها من أعمال صالحة؟.

٤. نماذج من الصحابة على الحب الصادق للرسول ﷺ.

٥. دروس وفوائد من فقه الحديث النبوي الشريف.

❁❁❁

٥- الهدف من الموضوع.

شحذ الهمة، وتقوية العزائم، ورقة القلب، ودمعة العين، والاستعداد ليوم الرحيل.

٦- لماذا هذا الحديث الآن؟.

لأنه يمثل وقفة مع النفس، لإيقاظها من الغفلة، وتنشيطها من الكسل، وتذكيرها بالأمور المهمة: "إنَّ لكلِّ عمَلٍ شِرَّةً، وإنَّ لكلِّ شِرَّةٍ فترةً، فمَن كانت شِرَّتُه إلى سُنَّتي فقد أفلَح، ومَن كانت شِرَّتُه إلى غيرِ ذلك فقد هلَك) ([1]).

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (١١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فالدواء مر، والسفر بعيد، والزاد قليل، والحساب عسير، والموعد قريب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ ﴾ (١).

❁❁❁

عن أنس بن مالك قال: "إن رجلًا سأل النبيَّ ﷺ عن الساعةِ، فقال: متى الساعةُ؟ قال: "وماذا أعْدَدْتَ لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فقال: "أنت مع مَن أحْبَبْتَ) قال أنسٌ: فما فرِحْنا بشَيْءٍ فرَحَنا بقولِ النبي ﷺ: "أنت مع مَن أحْبَبْتَ) قال أنسٌ: فأنا أُحِبُّ النبي ﷺ وأبا بكرٍ وعُمَرَ، وأرْجو أنْ أكونَ معهُم بحُبِّي إياهُم، وإنْ لم أعْملْ بمثلِ أعْمالِهِم"(٢).

❁❁❁

لماذا هذا الحديث الآن؟.

ـ السائل رجل من الأعراب، وسؤاله سؤال مصيري، لما فيه من صعوبات، ولما بعده من أهوال.

ـ لقد سألت عن عظيم، لماذا؟ لأنه صاحب قلب مشفق خائف من الساعة وأهوالها؟

ـ لأنه يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت.

ـ لأنه يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه.

---

(١) سورة فاطر الآية (٥) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٦٨٨) عن أنس بن مالك ﷺ.

ـ لأنه يوم ينسى فيه الوالد ولده، والصديق صديقه، والزوج زوجته.

ـ لأنه يوم فيه فصل وقضاء، وحساب وجزاء.

ـ لأن فيه تبلى السرائر، وتنكشف الضمائر.

ـ لأن فيه تنشر الدواوين، وتنصب الموازين، ويحشر الناس حفاة عراة غرلا.

ـ لأن فيه يسأل الإنسان عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه...

ـ لأن فيه يحاسب الإنسان على الصغير والكبير، والنقير والفتيل والقطمير.

ـ لأن فيه ينظر المرء ما قدمت يداه، ويتذكر الإنسان وأنى له الذكرى.

ـ لأنه يوم طويل الموقف، يشتد فيه الخطب والحر الشديد، والمقام الرهيب.

ـ لأنه اليوم الذي تخشع فيه الأصوات، وتبلغ فيه القلوب الحناجر، ويعظم فيه الكرب، ويشتد فيه الخطب وتجثوا الأمم على الركب، وتدنوا الشمس من الرؤوس، ويفيض العرق إلى الرقاب، وتسقط الرتب، ويتساوى العظيم والحقير، والغني والفقير، والملك والصعلوك.

الناس حيال الساعة فريقان، المؤمن يقول كما حكى القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾ (١).

(١) سورة الحاقة الآية (١٩).

والكافر يقول كما حكى القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١).

عن زاذان أبو عمر الكندي يقول: دخلتُ على ابنِ مسعودٍ فوجدتُ أصحابَ الخِزِّ واليمنيَّةِ قد سبقوني إلى المجلسِ، فقلتُ يا عبدَ اللهِ من أجلِ أنِّي رجلٌ أعجميٌّ أدنيتَ هؤلاء وأقصيْتَني؟ قال ادْنُ فدنوْتُ حتَّى ما كان بيني وبينه جليسٌ فسمِعتُه يقولُ: يُؤخَذُ بيدِ العبدِ أو الأمَةِ فيُنصَبُ على رءوسِ الأوَّلين والآخرين ثمَّ يُنادي منادٍ هذا فلانُ بنُ فلانٍ فمن كان له حقٌّ فليأْتِ إلى حقِّه فتفرحُ المرأةُ أن يدورَ لها الحقُّ على ابنِها وأخيها أو على أبيها، أو على زوجِها، ثمَّ قرأ ابنُ مسعودٍ (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ).

فيقولُ الرَّبُّ تعالَى للعبدِ ائتِ هؤلاء حقوقَهم؟ فيقولُ يا ربِّ فنِيَتِ الدُّنيا فمن أين أُوتيهم فيقولُ للملائكةِ خُذوا من أعمالِه الصَّالحةِ فأعطوا كلَّ إنسانٍ بقدرِ طُلبتِه، فإن كان وليًّا لله فضَلت من حسناتِه مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من خيرٍ ضاعفها حتَّى يُدخِلَه بها الجنَّةَ ثمَّ قرأ (إِنَّ اللهَّ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) وإن كان عبدًا شقيًّا، قالت الملائكةُ يا ربِّ فَنِيَتْ حسناتُه وبقي طالبون، فيقولُ للملائكةِ خُذوا من أعمالِهم السَّيِّئةِ فأضيفوها إلى سيِّئاتِه وصُكُّوا له صكًّا الى النَّارِ. (٢).

(١) سورة الحاقة الآية (٢٥).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ٢٤٤ عن زاذان ﷺ.

والنبي ﷺ يفاجئ الصحابي بسؤال أعظم، حيث السؤال الكبير، والجواب أكبر وأعظم وأحكم، وماذا أعددت لها؟.

فالساعة علمها عند الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (٢).

فلابد هنا من وقفة مع النفس للمحاسبة كما يحاسب الشريك شريكه.

ما العمل الذي أعددته للاحتضار وسكرات الموت، وظلمة القبر ووحشته، ويوم الحشر والنشر، والميزان والصراط.

يوم يؤتى فيه بجهنم لها سبعون ألف ذراع، يجرها من كل ذراع سبعون ألف ملك.

ماذا أعددنا ليوم يغضب فيه الرب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا بعده.

ماذا أعددنا ليوم ونحن نرى الموت يتخطف الأرواح من أجسادها، ونحن نرى الأرواح وهي غارقة في شهواتها، فالشاب يصبح مسلما معافاً في صحته، ثم يمسي بين أطباق الثرى، وقد حيل بينه وبين الأهل والأحباب

(١) سورة الأعراف الآية (١٨٧).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٦٣).

ماذا أعددت في عصر الشهوات، التي تنوعت وتفننت، وتتابعت الفتن وأظلمت، وفرقت وحيرت، والقلوب قست وتغيرت.

وفي الحديث: "لو أنَّ رَجُلًا يُجَرُّ على وجهِهِ مِن يومِ وُلِدَ إلى يومِ يَموتُ هَرِمًا في مرضاةِ اللهَّ تعالى، لحقَّرَه يومَ القيامَةِ) (١).

ومر عمرو بن العاص بالمقبرة فبكى! ثم رجع فتوضأ وصلى ركعتين، فقال أصحابه لم فعلت ذلك؟ فقال ذكرت قوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٢). وأنا اشتهي الصلاة قبل أن يحال بيني وبينها.

❁❁❁

(٣) ماذا أعددت لها من أعمال صالحة؟.

ماذا أعددت لها من الصلاة؟ في الموعد والجماعة والمسجد والخشوع والخضوع، وحضور القلب، والاستسلام لله.

وقد أشار النبى ﷺ إلى الزاد فقال لأبى ذر: قال ﷺ لأبي ذرٍّ: "لو أردتَ سفرًا أعددتَ له عُدَّةً؟ قال: نعم، قال: فكيف سفرُ طريقِ القيامةِ ألا أُنبِّئُك يا أبا ذرٍّ بما ينفعُك ذلك اليومَ؟ قال بلَى بأبي أنت وأمِّي قال: صُمْ يومًا شديدَ الحرِّ ليومِ النُّشورِ

(١) الحديث ذكره الإمام السيوطي في الجامع الصغير (٧٣٩٣) حديث حسن، عن عتبة بن عبد السلمي ﷺ.
(٢) سورة سبأ الآية (٥٤).

وصَلِّ ركعتَيْن في ظُلمةِ اللَّيلِ لوحشةِ القبورِ، وحُجَّ حجَّةً لعظائمِ الأمورِ ، وتصدَّقْ بصدقةٍ على مسكينٍ أو كلمةِ حقٍّ تقولُها أو كلمةِ شرٍّ تسكتُ عنها"([1]).

ماذا أعددت لها من الزكاة،؟ وأدائها كاملة، وشكر الله على نعمه، وزاد الزكاة بالصدقة واكتسب المال من حلال، وكان في يده ولم يك في قلبه.

ماذا أعددت لها من الصيام؟ هل حافظت عليه من اللغو والرفث، وصامت الجوارح والقلب، وزدت من صيام التطوع.

ماذا أعددت لها من الحج والعمرة والتوبة والذكر والاستغفار؟.

وفي الحديث قال ﷺ: "لن تزول قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسأَلَ عن أربعِ خِصالٍ: عن عُمرِه فيما أفناه، وعن شبابِه فيما أبلاه، وعن مالِه من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن عِلمِه ماذا عمِل فيه)([2]).

وفي الحديث قال ﷺ: قال ﷺ لأبي ذر "لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم، قال فكيف سفر طريق القيامة، ألا أنبئك يا ابا ذر بما ينفعك ذلك اليوم؟ قال بلى بأبي أنت وأمي: قال صم يوماً شديد الحر ليوم النشور، وصلي ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وحج حجة لعظائم الأمور، وتصدق بصدقة على مسكين، أو كلمة حق تقولها، أو كلمة شر تسكت عنها) ([3]).

---

(١) الحديث ذكره العراقي في تخريج الاحياء ١/ ٤٦٦. مرسل، من طريق السري بن مخلدﷺ.

(٢) الحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٢٩٨ إسناده صحيح، عن معاذ بن جبلﷺ .

(٣)الحديث أخرجه الإمام العراقي في الإحياء ١/ ٤٦٦ حديث مرسل، عن السري بن مخلد ضعيفﷺ .

ماذا أعددت لها من؟ الأوقات الصالحة فقضيتها في طاعة الله؟.

ماذا أعددت لها من؟ الأرحام هل وصلتها، وبررت بالوالدين، وطلبت رضاهما.

ماذا أعددت لها من ترك الذنوب؟ فهلا فررت منها وخليتها كل الذنوب صغيرها وكبيرها.

يقول حماد بن سلمة، عن سليمان التميمي-رحمه الله-: (ما أتيناه في ساعة يطاع الله فيها إلا وجدناه مطيعاً، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مصلياً، وإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً أو عائداً مريضاً، أو مشيعاً جنازة، أو قاعداً في مسجد، ومكث أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ولو قيل له إنك تموت غداً ما استطاع أن يزيد في عبادته شيئاً) ([1]).

❁❁❁

(٤) نماذج على الحب الصادق من الصحابة للرسول ﷺ.

قوله: "غير أني أحب الله ورسوله) فهذا ما قاله أنس خادم الرسول ﷺ فكيف بعوام المسلمين؟ فينبغي أن تتطلع أطماعنا ورجاؤنا بذلك الحب وإن كنا مقصرين فيه.

ـ تذكر أن كلب أهل الكهف صحبهم في سفرهم، فذكره الله معهم في القرآن الكريم، فكيف بمن صحب النبيﷺ وأحبه من أصحاب خاتم النبيين ﷺ.

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني ٣/ ٢١.

وفي الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "مَن رجلٌ ينظُرُ لي ما فعلَ سَعدُ بنُ الرَّبيعِ أفي الأحياءِ هوَ أم في الأمواتِ؟ فقالَ رجلٌ منَ الأنصارِ: أنا فنظرَ فوجدَهُ جريحًا في القَتلى وبِهِ رمَقٌ فقالَ لَهُ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺأمرَني أن أنظُرَ أفي الأحياءِ أنتَ أم في الأمواتِ.فقالَ: أنا في الأمواتِ فأبلِغْ رسولَ اللهِ ﷺ سَلامي وقل لَهُ: إنَّ سعدَ بن الرَّبيعِ يقولُ لَكَ: جزاكَ اللهُ عنَّا خيرَ ما جزى نبيًّا عن أمَّتِهِ.وأبلِغ قومَكَ عنِّي السَّلامَ وقل لَهم: إنَّ سعدَ بنَ الرَّبيعِ يقولُ لَكم: إنَّهُ لا عُذرَ لَكم عندَ اللهِ إن خُلِصَ إلى نبيِّكُم وفيكُم عينٌ تطرَفُ) (١).

كان ثَوْبَانُ مَوْلَى رسولِ الله ﷺ شديدَ الحُبِّ له، قليلَ الصبرِ عنه، فأتاه ذاتَ يومٍ وقد تَغَيَّرَ لونُه، يُعْرَفُ الحُزْنُ في وجهِه، فقال له رسولُ الله ﷺ: ما غَيَّرَ لَوْنَكَ؟ فقال: يا رسولَ الله، ما بي مَرَضٌ ولا وَجَعٌ؛ غيرَ أني إذا لم أَرَكَ اسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً شديدةً حتى ألقاك، ثم إني إذا ذَكَرْتُ الآخِرَةَ أخافُ أَلَّا أراكَ لأنكَ تُرْفَعُ إلى عِلِّيِّينَ مع النَّبِيِّينَ؛ وإني إن دَخَلْتُ الجنةَ كنتُ في منزلةٍ أَدْنَى من منزِلتِكَ، وإن لم أَدْخُلْها لم أَرَكَ أبدًا.

فنزل قولُه تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)(٢).

---

(١) فقه السيرة للغزالي صـ٢٦٩ إسناده معضل، عن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة ﷺ.

(٢) فقه السيرة للغزالي صـ٢٠٠، وقال المقدسي: لا أرى بإسناده بأسا، وله شاهد وآخر من مرسل، عن سعيد بن جبير ﷺ.

وفي مفاوَضات صلح الحديبية قالَ عروة بن مسعود: (أيْ قَوْمِ، واللهِّ لقَدْ وفَدْتُ علَى المُلُوكِ، ووَفَدْتُ علَى قَيْصَرَ، وكِسْرَى، والنَّجَاشِيِّ، واللهِّ إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺمُحَمَّدًا، واللهِّ إنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلَّا وقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بهَا وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذَا أمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أمْرَهُ، وإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ علَى وضُوئِهِ، وإذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا له)([1]).

وفي يوم غزوة بدر كان هذا المشهد الرائع: "أنَّ رسولَ الله ﷺ عدَّلَ صفوفَ أصحابِه يومَ بدرٍ وفي يدِه قدحٌ يعدِّلُ به القومَ فمرَّ بسوادِ بنِ غَزيَّةَ حليفَ بني عدي بنِ النَّجارِ وهو مُسْتنتِلٌ من الصفِّ فطعن في بطنِه بالقدحِ وقال استوِ يا سوادُ فقال يا رسولَ اللهِ أوجَعْتَني وقد بعثك اللهُ بالحقِّ والعدلِ فأقِدْني قال فكشف رسولُ اللهِ ﷺ عن بطنِه وقال استقِدْ قال فاعتنقَه فقبَّل بطنَه فقال ما حملكَ على هذا يا سوادُ قال يا رسولَ اللهِ حضَر ما ترى فأردتُ أن يكون آخرُ العهدِ بك أن يمَسَّ جلدي جلدَك فدعا له رسولُ اللهِ ﷺ بخيرٍ وقال له استوِ يا سوادُ)([2]).

ـ يقول ابن القيم-رحمه الله-: (وهذه سهلة بالدعوى واللسان، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، فالرضا بنبيه ﷺ رسولاً يتضمن كمال

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمةﷺ، ومروان بن الحكمﷺ.

(٢) الحديث ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ٦/ ٨٠٨ إسناده حسن، عن أشياخ من قوم حبان بن واسعﷺ.

الانقياد له، والتسليم المطلق له، بحيث يكون أولى من نفسه، فلا يتلقى الهدي إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحاكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، ويسلم له تسليماً ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها) ([1]).

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ∴ هذا محال في القياس بديـــع

لو كان حبك صادقا لأطعتـه ∴ إن المحـــب لمن يحب مطيـــع

إنك مع من أحببت، أي ملحق بهم حتى تكون في زمرتهم، وبهذا يندفع إيراد أن منازلهم متفاوتة، فكيف تصح المعية؟.

فيقال إن المعية تحصل بمجرد الاجتماع في الشيء، ولا تلزم في جميع الأشياء، فإذا اتفقوا أن الجميع في الجنة، صدقت المعية، وإن اختلفت الدرجات، كذلك إذا زالت الحجب في الجنة، استطاع كل واحد منهم أن يرى الآخر.

❁❁❁

(٥) دروس وفوائد من فقه الحديث النبوي الشريف.

١. الاستعداد للدار الآخرة، والعمل لما بعد الموت، هو الشيء المهم الذي تنصرف إليه الهمم.

٢. احتقار الإنسان لعمله، وعدم اغتراره به، وتيقنه دائماً أنه محل التقصير.

٣. عظم شأن محبة الله ورسوله ﷺ لأن ذلك من كمال الإيمان. وفضل حب الله والرسول ﷺ والأخيار ومجالستهم.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/ ١٧٢.

٤. توجيه عناية المسلم إلى محبة الحق وأهله، ليحظى بالسعادة، فالمرء مع من أحب.

٥. حسن تصرف السائل وتسديده في الإجابة لمّا أعيد عليه السؤال.

٦. عظم قدر الصحابة وحرصهم على الخير وفرحهم به "أنت مع من أحببت).

٧. خطاب النبي ﷺ للواحد خطاب للجميع، ما لم يدل على التخصيص.

٨. فضل أبي بكر وعمر وتعظيم الصحابة لهم، ومحبتهم لهما ومعرفة قدرهما.

٩. التركيز على القضايا المهمة في حياة الفرد. وتوجيه النبي ﷺ الصحابي إلى الأهم في حياته.

١٠. فقه الدعوة في التعامل مع المدعوين، حيث جاء الجواب بما يناسب الحال.

١١. الصراحة والوضوح في الإجابة. فالصحابي اختار أفضل شيء عنده من العمل.

١٢. طلب الدعاء من الصالحين مثل موقف عمر مع أويس القرني.

١٣. تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم

١٤. المحبة الصادقة تقتضي موافقة المحبوب فيما يحبه، قال أنس وأنا أحب النبي وأبا بكر وعمر.

١٥. الرجوع إلى العلماء وسؤالهم عن أمور الدين. ورفق العالم بالسائل، وتوجيه عنايته إلى ما يعود عليه بالفوائد العظيمة.

١٦. من حسن إسلام المرء اشتغاله بما يعنيه، وتركه ما لا يعنيه.

❁❁❁

السيرة الذاتية الخاصة بالدكتور/ أحمد عبد الهادي شاهين.

المؤهلات:

(١) ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة سنة ١٩٨٩م قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بتقدير (جيد جدا مع مرتبة الشرف).

(٢) ماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٥م بعنوان (مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية وعلاج الإسلام لها) بتقدير (ممتاز).

(٣) الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان. من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٩م بعنوان (خصائص الدعوة في العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم دراسة مقارنة) بتقدير (مرتبة الشرف الثانية).

الوظائف السابقة:

١. عمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف المصرية من ١/ ٣/ ١٩٩٠م. حتى ٢٠/ ٢/ ١٩٩٣م.
٢. عمل معيدا بجامعة الأزهر في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢١/ ٢/ ١٩٩٣م. حتى ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٥م.
٣. عمل مدرسا مساعدا في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٥م. حتى ٤/ ٥/ ١٩٩٩م
٤. عمل مدرسا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من٥/ ٥/ ١٩٩٩م حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م.
٥. عمل أستاذا مساعدا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م حتى ١ يوليو ٢٠٠٤.
٦. عمل أستاذا مشاركا في الجامعة الإسلامية بأمريكا متشجن دوترويد من ١ يوليو ٢٠٠٤م حتى ٣٠ يونيو ٢٠١١.

٧. عمل أستاذا للدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة طيبة. بالمدينة المنورة. المعهد العالي للأئمة والخطباء. وكلية الآداب من ١ يوليو ٢٠١١ م. حتى ٢٠٢١م.

٨. الوظيفة الحالية: أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر.

التخصص الدقيق: (الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان).

المواد التي يقوم بتدريسها:/ الدعوة/ الخطابة/ الثقافة الإسلامية/ تاريخ الخلفاء/ إسلام في المشرق/ الفرق/ فقه السيرة النبوية/ الاستشراق/ التنصير/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ النصرانية/ مناهج الدعوة/ آيات الله الإنسانية/ آيات الله الكونية/ قضايا معاصرة/ خلق المسلم/ رسالة المسجد/ حقوق الإنسان في الإسلام/ .

أعمال أخرى:

(١) انتدب للتدريس في كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ومعهد الثقافة بوزارة الأوقاف، ومعاهد إعداد الدعاة.

(٢) يقوم بالخطابة والدروس والمحاضرات في مساجد الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ومساجد الجمعية الشرعية منذ عام ١٩٨٩م حتى الآن.

(٣) سافر إلى دول أوروبا وأمريكا لإلقاء خطب الجمعة والمحاضرات والدروس الرمضانية، وحضور المؤتمرات والندوات العلمية.

(٤) له العديد من المقالات في مجلة التبيان المصرية. وجريدة الأهرام القاهرية. وجريدة عقيدتي. والأحاديث الإذاعية بإذاعة القرآن الكريم ونداء الإسلام من مكة المكرمة.

يجيد الحديث باللغة الإنجليزية، واستخدام الحاسب الألى.

تاريخ الميلاد:٢٧/ ٢/ ١٩٦٧م.

الحالة الاجتماعية: متزوج وله أربعة من الأولاد.

عنوان السكن في مصر: محافظة الدقهلية-مدينة أجا-خلف الإدارة الزراعية.

عنوان العمل في مصر: كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ت/ ٠٤٨/ ٢٣١٦٨٩١.

البريد الإلكتروني: drahmed1967@yahoo.com.

❁❁❁

المؤلفات الخاصة بالدكتور/أحمد عبد الهادي شاهين.

سلسلة كتب في الدعوة والخطابة:

١. الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول.
٢. وسائل الدعوة وأساليبها في ضوء القرآن والسنة والواقع.
٣. القواعد المنهجية للدعوة عند السلف.
٤. السيدة عائشة ﵂ وجهودها في الدعوة الإسلامية.
٥. الدعوة الإسلامية في أمريكا (رؤية من الداخل).
٦. الخطابة قواعد وأصول.
٧. المساجد بين الاتباع والابتداع.
٨. في ظلال خلق المسلم. الجزء الأول.
٩. في ظلال خلق المسلم. الجزء الثاني.
١٠. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الثالث.
١١. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الرابع.
١٢. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الخامس.
١٣. في ظلال خطب الجمعة. الجزء السادس.
١٤. واحة الإمام في إرشاد الأنام. ١٠٠ خطبة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
١٥. الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة.
١٦. قطوف من الأدب والحكمة.

❁❁❁

سلسلة كتب مشكلات الشباب:

١٧. مشكلة الانحراف الجنسي عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٨. مشكلة الإدمان والتدخين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٩. مشكلة الغلو في الدين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

٢٠. مشكلة القلق عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

❁❁❁

سلسلة كتب مقارنة الأديان.

٢١. اليهودية في ضوء العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها.

٢٢. النصرانية في ضوء العهد الجديد وموقف القرآن الكريم منها.

٢٣. خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة.

٢٤. المسيح عليه السلام بين النصرانية والإسلام (دراسة مقارنة).

٢٥. التنصير وخطره على العالم الإسلامي.

٢٦. دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية.

٢٧. الاستشراق في ميزان الإسلام.

٢٨. العلمانية وخطرها على المجتمعات المسلمة.

٢٩. الحوار بين الأديان. (تعايش لا ذوبان).

٣٠. تحقيق مخطوط (الأدلة العقلية على أشرفية الشريعة المحمدية).

لإبراهيم بن محمد الراوي العراقي.

❁❁❁

الفهـرس

(١٠١) الشورى في الإسلام.	
مقدمة	
١.تعريف الشورى.	
٢.أهمية الشورى في الإسلام.	
٣.الشورى في القرآن الكريم وفي حياة النبي ﷺ.	
٤.فوائد الشورى.	
٥.الشورى بين الإعلام والإلزام.	
٦.كيف نحقق الشورى في حياتنا المعاصرة؟.	
(١٠٢) الهمة العالية.	
١-تعريف الهمة وأهميتها.	
٢-نماذج من القرآن والسنة عن الهمة وأصحابها.	
٣-موقف الناس أمام الهمة.	
٤-خصائص صاحب الهمة العالية.	
٥-مجالات الهمة.	
٦-أسباب ضعفها.	
٧-عوامل النهوض بها.	
(١٠٣) سباق الوقت في حياة المسلم.	

١. حث القرآن على السبق والمسارعة في فعل الخير.	
٢. حث السنة على الاستفادة من الوقت.	
٣. الاستنفار للعبادات في أول الوقت.	
(١٠٤) الفتن أسبابها وصورها وكيفية الوقاية منه.	
١.تعريفها وطبيعتها.	
٢.تحذير النبي ﷺ الأمة من الفتنة.	
٣.أسباب الوقوع فيها.	
٤.أنواعها وصورها.	
٥.كيفية الوقاية منها؟.	
(١٠٥) الابتلاء في حياة المسلم.	
١-معنى الابتلاء.	
٢-من صور الابتلاء.	
٣-أهمية الابتلاء.	
٤-من فوائد الابتلاء وثمرته. وما ينبغي أن يفعله المسلم عند البلاء.	
(١٠٦) ظاهره الإلحاد، أسبابها، ومظاهرها، وكيفيه الوقاية منها؟.	
١.معنى الالحاد.	
٢.أسبابه.	
٣-مظاهره.	

٤-طرق الوقاية وكيفية العلاج.	
(١٠٧) نعمة الإيمان.	
١-تعريف الإيمان.	
٢-أهميه الإيمان ومظاهره في حياة المسلم.	
٣-الإيمان إكسير الحياة.	
٤-نماذج وأمثلة لأصحاب للإيمان قديما وحديثا.	
(١٠٨) الاستسلام لأمر الله.	
١.معنى الاستسلام.	
٢.كيف يتم الاستسلام وصوره؟.	
(١٠٩) رمضان شهر التغيير.	
١.رمضان فرصة مواتية للتغير.	
٢.خصائص التغيير المنشود.	
٣.وسائل تعين على التغيير.	
(١١٠) فضل قراءة القرآن، وحفظه، ومدارسته، والعمل به.	
١.فضل قراءة القرآن الكريم.	
٢.فضل حفظ القرآن الكريم.	
٣.فضل مدارسة القرآن الكريم.	
٤.فضل العمل بالقرآن الكريم.	

(١١١) فضل قيام الليل ومعيناته.	
١. فضل قيام الليل.	
٢. آداب قيام الليل.	
٣. وقت قيام الليل، وعدد ركعاته.	
(١١٢) العمرة آداب وأحكام.	
١.فضل العمرة.	
٢.آداب ما قبل العمرة.	
٣.أركان العمرة.	
٤.الدروس المستفادة من العمرة.	
(١١٣) وماذا بعد مواسم الخيرات؟.	
١.الاستمرار في العمل الصالح، والمداومة على فعله.	
٢.مواجهة الشداد والصعوبات، بمجاهدة النفس بالطاعات.	
(١١٤) وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.	
١. معناه.	
٢.أهميته. وفضله.	
٣.نماذج من فعل الخيرات.	
٤.الذي يصنع الخير للناس إنما يصنعه لنفسه.	
(١١٥) نعمة الشكر.	

١. معني الشكر وأركانه.	
٢. الفرق بين الشكر والحمد.	
٣. الشكر من صفات الله، والأنبياء، والصالحين.	
٤. مبطلات الشكر.	
٥. كيف نكون من الشاكرين؟.	
(١١٦) المسلم بين الخوف والرجاء.	
١.تعريف الخوف	
٢.أنواعه.	
٣.مظاهره.	
٤.ثمراته.	
٥.تعريف الرجاء.	
٦.مظاهره.	
٧.ثمراته.	
(١١٧) الأمل والتفاؤل في حياة المسلم.	
١.كل الناس في بلاء واختبار.	
٢.الإسلام يحرم اليأس والقنوط والانتحار.	
٣.نصوص وأحداث تصنع الأمل والتفاؤل.	
(١١٨) نصائح للمقبلين على الزواج وحديثي الزواج.	

(١١٩) ضوابط شرعية للمرأة المسلمة.	
١. الاختلاط بين الجنسين.	
٢. التبرج والزينة.	
٣. ثياب المرأة وعورتها.	
٤. الخلوة بالأجنبية.	
٥. السلام والمصافحة.	
٦. صوت المرأة.	
(١٢٠) المشكلات الزوجية أسبابها وعلاجها.	
١. المشكلات الزوجية التي تأتي من وراء الزوج.	
٢. المشكلات الزوجية التي تأتي من الزوجة.	
٣. المشكلات المشتركه بين الطرفين.	
٤. المشكلات من الخارج بعيدا عن الزوجين.	
٥. علاج المشكلات الزوجية.	
(١٢١) آثار غياب الزوج عن زوجته بالسفر مدة طويلة.	
١. الآثار المترتبة على الزوج.	
٢. الآثار المترتبة على الزوجة.	
٣. الآثار المترتبة على الأولاد.	
٤. الاثار المترتبة على مؤسسة العمل الوظيفي.	

(١٢٢) من الأخلاقيات العامة في التجمعات.	
١. مقدمة.	
٢. من الأخلاقيات العامة في التجمعات.	
(١٢٣) قراءة في أخلاق البشر وسلوكهم.	
(١٢٤) البعث في ضوء القرآن الكريم.	
(١٢٥) ماذا أعددت ليوم القيامة؟.	
١. الهدف من الموضوع.	
٢. لماذا هذا الحديث الآن؟.	
٣. ماذا أعددت له من أعمال صالحة؟.	
٤. نماذج من الصحابة على الحب الصادق للرسول ﷺ.	
٥. دروس وفوائد من فقه الحديث النبوي الشريف.	
السيرة الذاتية.	
المؤلفات والكتب.	
الفهرس.	